الإمتاع الشعري عند المحدثين

وفيه بيان عناية المحدّثين باللّغة

تأليف
أ.د/ الشّريف حاتم بن عارف العوني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد : فقد جاء طلب النادي الأدبي بمكة مني ، ممثلا في المخاطبة الكريمة من رئيس النادي سعادة الدكتور حامد الربيعي بأن أُلقي محاضرةً في النادي = فرصةً ثمينة للحديث عن موضوع طالما أحببت الحديث عنه ، وهو بيان مشاركة علماء السنة وأئمة الحديث في الأدب ، وفي الشِّعر منه خاصة .

لقد كانت تمر بي في كتب التراجم والجرح والتعديل وفي كتب الأدب أشعار وقصائد كثيرة من إنشاء بعض أئمة الحديث وثقات رواة السنة ، وفيها ما نَفَسُه الشِّعري نَفَسٌ راقٍ ، يخالف ما انطبع في الأذهان من نظم العلماء ، وهو بشعر الشعراء وأدبيات الأدباء ألصق ، وكنت أودّ إبراز هذا الصِّنف من العطاء الأدبي لأئمة الحديث ، وكان يشغلني عنه ما هو أهم في نظري . حتى جاءتني تلك الدعوة الكريمة ، فحرصت على تحقيق رغبتي في ذلك ، فجاءت هذه المحاضرة ، التي لا تمثل إلا أنموذجًا ومثالا لما مرَّ بي ، ولما سيجده الباحث المستقصي .

أسباب اختيار الموضوع :

السبب الأول : إظهار عناية المحدثين باللغة ، وحفاوتِهم بفنونها (ومنها الشعر والأدب) ، مما يُبيّنُ متانة نقلهم للسنة ، ويدفع عنهم تهمة الخلل في حفظها بسبب نقص علمهم باللغة (كما يزعم بعض الجهلة بواقع نقلهم وجهودهم في حفظ السنة) . وذلك

من خلال التأكيد على قدرتهم على أداء الأحاديث النبوية على الوجه الصحيح ، لعلمهم باللغة ومتانة علمهم بها .

السبب الثاني : التأكيد على عدم صحة إهدار نقل أهل الحديث في مجال الاحتجاج اللغوي ، من جهة أنهم نقلة أُمناء عن أفصح العرب وأعربهم محمد صلى الله عليه وسلم .

السبب الثالث : الردّ على أصحاب النُّسُكِ الأعجمي من أهل التزمُّت في ادّعاء التنزُّهِ عن الشعر المباح ، وتضييق فسحة المباح منه (بنحو تحريم شعر الغزل) .

ولذلك اعتنيت بأبيات الغزل خاصة التي أنشأها وأنشدها ثقاتُ المحدثين ؛ لأبين أن الغزل لا يقدح في العدالة ولا يخرم المروءة !

ولأظهر الجانب الإنساني للمحدثين :

- من الذوق الأدبي الذي كانوا يتحلّون به .
- ورهافة الأحاسيس ورقّة المشاعر التي كانت مكوّنًا كبيرا لشخصياتهم .
- الحب والعشق ليس حراما ، ولا كان عيبا التصريح به ، ما دام التزم حدود الشرع .
- السماحة والبعد عن التنطّع في زمنهم ، وموازنة ذلك بزمننا ، الذي قلّ فيه التديُّنُ الحقيقي (تَديُّنُ القلوب) ، وجعلنا المظاهرَ والتشديدات هي التدين .

السبب الرابع : الغيرة على المحدثين من الإهمال الذي نالهم بعدم جمع أشعارِهم ، وعدم إبراز عطائهم الشعري .

فقد اعتني بجمع أشعار أصحاب فنونٍ وصفاتٍ جامعةٍ عديدة ، مثل :

أولا : هناك من اعتني بتسليط الضوء على أشعار الفقهاء :

١-أدب الفقهاء : للأديب الكبير عبد الله كَنُّون الحسني (ت١٤٠٧هـ) . دار الكتاب المصري ، ١٤٠٤هـ ، ودار الثقافة : الدار البيضاء : ١٤٠٨هـ .

٢-شعر الفقهاء : للدكتور حسني ناعمة . المكتبة العربية : حلب : ١٣٩٩هـ .

٣-من غزل الفقهاء : للشيخ الأديب علي الطنطاوي (ت١٤٢٠هـ) . دار المنارة : ١٤٠٨هـ .

ثانيا : شعر الخلفاء وأولادهم :

١-بدءًا بما جمعه الصولي (ت٣٣٥هـ) في الأوراق : أشعار أولاد الخلفاء .

٢- وشعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي : نبال تيسير خماش ، نطبوع سنة ١٤٠٤هـ .

٣- شعراء بني أمية : د/ السيد أحمد عِمارة . مطبوع سنة ١٤٠٨هـ .

ثالثا : شعر النساء :

١-الإماء الشواعر : لأبي الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ) .

٢- أشعار النساء : للمرزباني (ت٣٨٤هـ) .

٣- نزهة الجلساء في أشعار النساء : للسيوطي (ت٩١١هـ) .

٤- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : للشاعر اللبناني بشير يموت ت١٣٨٠هـ .

٥- معجم الأديبات الشواعر : لمحمد الحسن السمان الحموي (ت١٣٥٤هـ) .

٦- شاعرات العرب : لعبد البديع صقر (١٤٠٧هـ) .

٧- معجم أشعار النساء في صدر الإسلام : للدكتورة العراقية ليلى محمد ناظم الحياني .

رابعا : جُمعت أشعار القبائل : كهُذيل ، وقُشَير ، وثقيف ، وعقيل ، وأسد ، وتغلب ، وبكر بن وائل ، وهَـمْدان ... إلخ .

خامسا : جُمعت (أشعار اللصوص) : لعبد المعين ملوحي .

سادسا : جُمع (ديوان أشعار الخوارج) لإحسان عباس ، وجُمعت (أشعار التشيع) للطيب العشاش .

سابعا : جُمعت أشعار (شعراء النصرانية) : للويس شيخو .

إلا المحدثين ، مازالوا في طيّ الإهمال والنسيان !

السبب الخامس والأخير لهذه الجمع : رجوتُ أن أُمتعكم بشيء من شعر جميل ، يزيده جمالا أنه من نظم وإنشاء علماء شرعيين ، من أكثر الناس ديانةً وعبادةً وتألُّـهًا .

ولذلك فقد حرصت على تجنب المنظومات التي تخلو من الحسّ الأدبي ، والتي هي الأغلب في شعر الفقهاء والمحدثين ، بل حرصت على القصائد الوجدانية (كالغزلية) ما توفرت فيها شروط الذِّكر (الآتية)

شروط الأبيات المختارة :

- وهي أن تكون نسبتها لقائلها ثابتة أو قوية . ولذلك استبعدت كثيرا من مستجاد ما ورد في المصادر منسوبا إلى بعض المحدثين ؛ لكون نسبتها إليهم ضعيفة أو خطًا .
- أن يكون قائلها محدثا صرفا (من علماء الحديث أو من ثقات النقلة للسنة ممن وثّقهم المحدثون) . ولذلك لم أذكر أمثال الإمام الشافعي والطبري والمعافى بن زكريا النهرواني وابن حزم وابن عبد البر ، لكونهم فقهاء أكثر منهم محدثين ، أو لشدة النزاع فيهم . ولم أذكر ممن حدث من أئمة اللغة ، ولو كان موثقا عند المحدثين ، كأبي الأسود الدؤلي والخليل بن أحمد وأمثالهما ؛ لكونهم باللغة والأدب أشهر منهم بالحديث ، مع روايتهم له وثقتهم فيه (وسيأتي ذكر مسرد لهم)[1].
- لن أذكر أحدا من جيل الصحابة (رضوان الله عليهم) ، فهؤلاء أعلى من أن يتنازعهم أصحابُ الفنون ، فهم القدوة في كل شيء .

---

(١) مع كون اللغويين الذين وثقهم أهل الحديث لهم أثرهم في صحة النقل للسنة ، لمشاركتهم في الرواية وإعانتهم على حفظ السنة النبوية .

- أن تكون الأبيات داخلة في معنى الشِّعر ، لا في النظم الخالي من الحسّ الأدبي والعاطفة ؛ إلا قليلا ، مما أذكر سبب ذكري له .

عناية المحدثين باللغة والأدب

وأحببت البداية بهذه المقدمة تأكيدا لبعض فوائد هذا الجمع ، لأؤكد فيها أن المحدثين كانوا مهتمين بشأن اللغة : عربيُّهم وعجميُّهم ، وكانت عندهم من شروط صحة النقل .

وتظهر هذه العناية من جهات عدة أساسية :

أولا : أن علم المحدثين وعملهم قام على الاحتفال بالسنة النبوية ، حفظا وضبطا من الضياع والتحريف والاختلال . وما دام علم المحدثين قائما على حفظ وضبط كلامٍ عربي ، بل أفصح كلام عربي (بعد كلام الله تعالى) ، فلا بد أن تكون اللغة هي من أوائل ما يحرصون عليه ؛ لأنها علمٌ لا يقوم علمهم بدونه ، ولا يمكنهم تحقيق غرضهم منه إلا به .

ولذلك فقد حرصوا غاية الحرص على اللغة ، وظهر هذا الحرص في قواعد علمهم ومبادئ فنونه وأُسس مسائله وآدابه !

يقول الإمام الأوزاعي : « أَعْرِبُوا الحديثَ ؛ فَإِنَّ القومَ كَانُوا عُرْبًا» .

وقال وكيع بن الجراح : « أتيت الأعمش أسمع منه الحديث ، وكنت ربما لحنت ، فقال لي: يا أبا سفيان تركت ما هو أولى بك من الحديث ، فقلت يا أبا محمد : وأي شيء أولى من الحديث؟! فقال: النحو . فأملى عليّ الأعمش النحو ، ثم أملى علي الحديث» .

وقال شعبة بن الحجاج : «من طلب الحديث ولم يبصر العربية : فمثله مثل رجل عليه برنس وليس له رأس» .

وقال حماد بن سلمة: «مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو : مثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها» .

وكان حماد بن سلمة يقول لمن يروي عنه : « إن لحنتَ في حديثي ، فقد كذبتَ عليَّ ؛ فإني لا ألحن» .

وقد قال الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي والسامع) : «فينبغي للمحدث أن يتقي اللحن في روايته للعلة التي ذكرناها ولن يقدر على ذلك إلا بعد درسه النحو ومطالعته علم العربية» .

ثم عقد فصلا لذلك بعنوان : « الترغيب في تعلم النحو والعربية لأداء الحديث بالعبارة السوية» .

وعقد بابا آخر بعنوان : « من عاب اللحن وشدد فيه» .

وقد قال العراقي في ألفيته في آداب طالب الحديث :

وَلْيَحْذَرِ اللَّحَّانَ وَالْمُصَحِّفَا	عَلَى حَدِيثِهِ بِأَنْ يُحَرَّفَا
فَيَدْخُلَا فِي قَوْلِهِ «مَنْ كَذَبَا»	فَحَقُّ النَّحْوُ عَلَى مَنْ طَلَبَا

ولذلك اشترط المحدثون لرواية الحديث بالمعنى شَرْطَ العلم باللغة :

يقول الخطيب البغدادي : « ورواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث غيره على المعنى جائزة عندنا : إذا كان الراوي عالما بمعنى الكلام وموضوعه ، بصيرا بلغات العرب ووجوه خطابها ، عارفا بالفقه واختلاف الأحكام ، مميزا لما يحيل

المعنى وما لا يحيله . وكان المعنى أيضا ظاهرا معلوما ، وأما إذا كان غامضا محتملا ، فإنه لا يجوز رواية الحديث على المعنى ، ويلزم إيراد اللفظ بعينه وسياقه على وجهه » .

ولذلك امتنع بعض المحدثين من الرواية بسبب نقص علمهم بالعربية كأبي حفص عمر بن يوسف بن محمد بن الحذاء القيسي الصقلي (ت٥٢٦هـ) ، وقصته في معجم السفر لأبي طاهر السِّلفي .

ولهذا قلّ جدا غلط المحدثين في النحو ، رغم روايته بالمعنى ، ورغم وجود من كان يلحن فيهم ومن كان أعجميا .

حتى إن الإمام الخطابي (حَمْدَ بن محمد بن إبراهيم ت٣٨٨هـ) لما ألّف كتابه (إصلاح غلط المحدّثين) ، والذي خصّه بذكر ألفاظ رواها أهل الحديث ملحونةً محرّفة ، وببيان صوابها من جهة اللغة ، كما قال الإمام الخطابي في مقدمة كتابه . ومع ذلك لم يذكر إلا بضعا وأربعين ومائة لفظة فقط !

وهي ألفاظ مع قلّتها بالنسبة لعشرات ألوف الروايات ولمئات ألوف الألفاظ الواردة فيها = مع ذلك فقد كان جزءٌ كبيرٌ من استدراكات الخطابي خطًا منه هو في التخطيء، وتضييقًا منه لواسع لغة العرب ، حيث أنكر بما يعرفه ما لا يعرفه منها ! حتى قال القاضي عياض (الفقيه المالكي) ، وهو غير متهم بانحيازه للمحدثين ، في كتابه (الإلماع) : «وَقَدْ نَبَّهَ أَبُو سُلَيمانَ الخطابي عَلَى أَلْفَاظٍ مِنْ هَذَا فِي جُزْءٍ أَيضًا ، لَكِنْ أَكْثَرُ مَا ذَكَرَهُ مِمَّا أَنكره عَلَى المحدّثِينَ : لَهُ وُجُوهٌ صَحِيحَةٌ فِي العَرَبِيَّةِ ، وَعَلَى لُغَاتٍ مَنْقُولَةٍ ، وَاسْتَمَرَّتِ الرِّوَايَةُ بِهِ» .

وهذا يذكّرني بقصة المحدث الشهير سليمان بن مِهْران الأعمش (ت١٤٧هـ) مع إمام اللغة في زمنه أبي عَمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ، عندما خَطَّأَ أبو عمروٍ ابنُ العلاء الأعمشَ في لفظة ، ثم تبين الصواب فيها مع الأعمش المحدّث ، لا مع أبي عمرو اللغوي!

فقد صح عن أبي داود الطيالسي قال: « قال لي الأعمش في حديث عبد الله بن مسعود حين خرج على أصحابه فقال: إني لأعلم بمكانكم ، فما يمنعني من الخروج إليكم إلا مخافة أن أُمِلَّكم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يَتَخَوَّلُنا بالموعظة ؛ مخافةَ السآمةِ علينا . فقال له أبو عمرو بن العلاء (وكان إذ ذاك بالكوفة) : إنما هو: يتخوننا بالموعظة . فقال الأعمش: يتخولنا ، فقال أبو عمرو: يتخوننا . فقال الأعمش: وما يدريك؟ فقال أبو عمرو، إن شئت أن أعلمك أن الله جل وعز لم يعلمك من العربية حرفًا واحدًا أعلمتك. فسأل عنه الأعمش ، فأُخبر بمكانه من العلم ، فكان بعد ذلك يدنيه ، ويسأله عن الشيء إذا أشكل عليه»[1] .

وحدث الأصمعي عن سفيان الثوري ، قال : كنا عند الأعمش ، وعنده أبو عمرو، فحدث عن أبي وائل عن عبد الله أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة ، ثم قال الأعمش : أي يتعاهدنا. فقال له أبو عمرو: إن يتعاهدنا : فيتخوننا إذن ، فأما يتخولنا فيستصلحنا . فقال له الأعمش : وما يدريك؟ فقال له أبو عمرو: لئن شئت يا أبا محمد لأعلمنك الساعة أن الله ما علمك من جميع ما تدعيه شيئًا ؛ إلا حديثك فعلت»[2].

---

(١) مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي (١٣٥) .

(٢) مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي (١٨٢) ، وتصحيفات المحدثين لأبي أحمد العسكري في

ولكن الأصمعي تعقّب هذه القصة بقوله : «قد ظلمه أبو عمرو ! يقال : يتخولنا ويتخوننا جميعا » [1].

وما قاله الأصمعي هو ما وافقه عليه جمعٌ من أئمة اللغة : كأبي عبيد ، وابن دريد ، والأزهري ، وأبي أحمد العسكري ، وغيرهم . مما يبيّن علم الأعمش باللغة ، وأن أبا عمرو بن العلاء قد ظلمه في هذا الاعتراض (عفا الله عنهما) ، كما قال الأصمعي .

ثانيا : أن معرفة الصحيح من السقيم يقوم على نقد الإسناد والمتن ، ومعتَمَدُ نقد المتن يقوم على فهمه الفهم الدقيق ؛ لأنه لا بد من مقارنة دلالة هذا المنقول بدلائل الكتاب والسنة ، وبمقاصد الشرع وفقه أبوابه ، وبدلالات العقل والحسّ ، ولابد عند اختلاف الرواة في النقل من مقارنة الألفاظ ببعضها من جهة الدلالة ، هل اختلّت أو تغيّرت ؟ لكي يستطيع المحدث أن يحكم أي الألفاظ هو الأصوب أو الصحيح دونما سواه ؟

وهذا كله يحتاج إلى علم باللغة تعين على الفهم .

ولهذا لا نستغرب أن لا يقع للإمام البخاري في كتابه الصحيح لحنٌ واحد ، على كبر حجم كتابه وكثرة الأحاديث فيه ! فمع سَعَةِ كتابه : لا يقع له فيه لحنٌ واحدٌ : لا في كلامه وتبويبه وتعليقه ، ولا في روايته أحاديثَ كتابه !! حتى إن الإمام النحوي جمال الدين ابن مالك صاحب الألفية الشهيرة في النحو (ت٦٧٢هـ) يؤلف كتابا في ذلك ، بعد

(١/ ١٥٣-١٥٤).

(١) تصحيفات المحدثين لأبي أحمد العسكري في (١/ ١٥٥-١٥٤)

قراءته صحيح البخاري كاملا (قراءةً وسماعا) ، ويسمي كتابه : (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) ، وهو كتاب مطبوع ، يبين فيه أنه لا يوجد في الصحيح لحن واحد ، وأن ما فيه من مشكلاتٍ إعرابية قليلةٌ ، وكلها لها توجيه لغوي قويٌّ لا يجُيز التسرُّعَ بتغليطها .

بل لقد تجاوز الأمر عند الإمام البخاري عدم اللحن ، إلى ظهور دقته اللغوية وعمقه في معرفة أساليبها ، وهو ما تَـجَلَّىٰ في دِقّة استنباطاته في صحيحه ، وهو نَفَسٌ لغويٌّ يقوم شاهدًا يُغني عن شهادة العلماء له ؛ لأنه شاهدُ الوجودِ الذي لا يمكن تكذيبه ولا التشكيك فيه . وكم وقف كبار الأئمة من شُرّاح كتابه (والذين بلغوا المئات) وقفاتِ إجلالٍ وإكبارٍ لتلك النظرات الدقيقة منه ، ولتلك اللفتات اللغوية العميقة التي تستخرج المعاني من نصوص الوحيين .

كما يظهر الـنَّـفَسُ اللغويُّ القويُّ للإمام البخاري أيضًا في ثقته العالية بلغته ، حين إنه لَـيَـنْـعَىٰ على من جهل اللغة نَعْيَ العليمِ بها الغيورِ عليها ، وذلك في مثل قوله في كتابه (خلق أفعال العباد) : «إن أكثر مغاليط الناس من هذه الأوجه : إذا لم يعرفوا المجاز من التحقيق ، ولا الفعل من المفعول ، ولا الوصف من الصفة ، ولم يعرفوا الكذب لم صار كذبا ، ولا الصدق لم صار صدقا ...» ، ثم شرح ذلك كله ، إلى أن قال : « فما يحملنا على كثرة الإيضاح والشرح ؛ إلا معرفتنا بعُجْمة كثيرٍ من الناس ، ولا قوة إلا بالله ! وقال الحسن البصري : إنما أَهْلَكَتْهم العُجْمة » .

وكذلك مما يشهد لأدبيات أهل الحديث ما دوّنوه في بعض نثرهم ، كمقدمات بعض الكتب :

فمن قرأ مقدمة الإمام مسلم في صحيحه ، علم مقدار بلاغته وفصاحته ، ولا أبالغ إن قلتُ : إن مقدمة صحيح مسلم نص أدبي كأنها نص من تحرير ابن قتيبة أو أبي حيان التوحيدي وأمثاله من كبار أئمة اللغة وأهل الأدب .

بل لقد نصَّ أئمة المحدثين على حاجة المحدّث إلى اللغة والنحو في علم تخصصي من علوم الحديث ، وهو علم الجرح والتعديل !

فهذا الإمام أبو الحجاج المِزِّي (ت٧٤٢هـ) في مقدمة كتابه في تراجم رجال أصحاب الكتب الستة (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) يشترط للناظر في كتابه أن يكون قد حصّل علم النحو واللغة والتصريف ، حيث يقول : « وينبغي للناظر في كتابنا هذا أن يكون قد حصل طرفا صالحا من علم العربية : نحوها ولغتها وتصريفها ، ومن علم الاصول والفروع ، ومن علم الحديث ، والتواريخ ، وأيام الناس ، فإنه إذا كان كذلك ، كثر انتفاعه به ، وتمكن من معرفة صحيح الحديث وضعيفه ، وذلك خصوصية المحدث التي من نالها ، وقام بشرائطها ساد أهل زمانه في هذا العلم ، وحشر يوم القيامة تحت اللواء المحمدي إن شاء الله تعالى »(١) .

ومن درس علم الجرح والتعديل علم حاجته الماسة للغة والأدب حتى في فهم عبارات الجرح والتعديل وفي دلالاتها اللغوية والعرفية ، وفي فروق ما بينها في الدلالة على المنزلة الدقيقة للراوي في مراتب القبول والردّ .

وقد نبهتُ على ذلك في كتابي (خلاصة التأصيل لعلم الجرح والتعديل) .

---

(١) تهذيب الكمال (١/ ١٥٦) .

ويعرف طلبة العلم كيف أخطأ الإمام العراقي في فهم عبارة : «على يدي عدل» ، لما فاته أنها مَثلٌ عربي ، استخدمه أبو حاتم الرازي . فظنه العراقي تعديلا ، وقرأ العبارة : (على يدِي عدلٌ» ، أي : على ضمانتي وكفالتي هو عدل . فاستدرك عليه الحافظ ابن حجر ، وبين أن الصواب فيها أنها عبارة جرح ، وأنها بلفظ : «على يدَي عدلٍ» ، وفسرها بما في كتاب إصلاح المنطق ليعقوب بن السكيت، عن ابن الكلبي قال: « جزء بن سعد العشيرة بن مالك : من ولده العَدْلُ، وكان ولي شرطة تُبَّع، فكان تُبَّع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه، فمن ذلك قال الناس: وُضِع على يَدَيْ عَدْلٍ، ومعناه : هَلَكَ.

قلت: ونحوه عند ابن قتيبة في أوائل (أدب الكاتب) ، وزاد: ثم قيل ذلك لكل شيء قد يئس منه » .

ونحوها قول يحيى بن معين في استضعاف راويين : «كِلاهما وتمرًا» .

وقول سعيد بن أبي عروبة : «دَقَّك بالـمِنْحاز حبَّ القِلْقِل [أو : الفُلفل]» .

وللأستاذ الدكتور سعدي الهاشمي ثلاثة أجزاء في شرح ألفاظ التوثيق والتعديل النادرة أو قليلة الاستعمال ، وفي عامتها كانت اللغة هي عمدته في شرحها .

ثالثا : وتظهر عناية المحدثين باللغة من روايتهم هم أنفسهم لكتب اللغة ونقلهم لها، وحرصهم على تلقيها .

ومن رجع إلى كتب الأثبات والفهارس والمشيخات التي تذكر الكتب التي رواها المحدّثُ صاحبُ المشيخةِ أو الثَّبَتِ ، يجد أنها قد حفلت بأجلّ وأكبر وأوسع وأهم كتب النحو والأدب والشعر .

ففي فِهْرِسْتْ ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) ، يعقد فصلا لما يرويه من (كتب الأنحاء واللغات والآداب والشروحات وأشعار العرب والمحدَثين وما يتصل بذلك)[١] ، وهو فصل كبير ، يضم مئات الكتب في النحو واللغة والأدب ودواوين الشعر . وقد بدأه بذكر روايته لكتاب (الكتاب) لسيبويه ، والمقتضب للمبرد ، ونحوها ، وشروحها ، كشرح السيرافي للكتاب ، وشرحه لابن النحاس . وهكذا استمر في سياق الكتب حتى ذكر كتب الأدب : ككتب الجاحظ والقالي وابن عبد ربه ، وكتب معاجم اللغة ودواوين الشعراء .

وهكذا يتكرر الأمر في بقية كتب الفهارس : كبرنامج يوسف التُّجِيبي (ت٧٣٠هـ)، برنامج محمد بن جابر الوادي آشي (ت٧٤٩هـ) ، ومشيخة عمر بن علي بن عمر القزويني (ت٧٥٠هـ)، وثَبَت أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (ت٩٣٨هـ) .

وقد نصّ المحدثون على أهمية الاهتمام بكتب الأدب والشعر للمحدّث ، وذكروا وجوب العناية بها في آداب تعلُّمِ علم الحديث :

فهذا الخطيب البغدادي يعقد لذلك بابا في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) ، الذي ألّفه لبيان آداب طالب الحديث ، يقول في عنوانه : « كَتْبُ أشعارِ المتقدمين في الشعر : الحِكَمِ النادرة ، والأمثالِ السائرة ، وشواهدِ التفسير ، ودلائلِ التأويل ؛ فهو ديوانُ العرب ، والمقيِّدُ للغاتها ووجوهِ خطابها ، فَلَزِمَ كَتْبُه ، للحاجة إلى ذلك» .

---

(١) فهرست ابن خير (٤٢٥-٣٠٥) .

رابعا : أن كثيرا من أئمة المحدثين كانوا علماء باللغة ، ولهم إسهامات جليلة في خدمة اللغة .

ولهم فضل على أئمة النحو : أنهم هم من أخرجوا لهم أستاذهم (سيبويه) كما في قصته الآتية مع حماد بن سلمة !

وهذا مسرد بأسماء بعضهم :

أئمة المحدثين الذين كانوا في الوقت نفسه أئمة في اللغة (نحوًا أو لغةً أو أدبًا) ، فمنهم :

- سعيد بن جبير (ت٩٥هـ) : ذكره ياقوت : في الأدباء .
- وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٤هـ) : ذكره ياقوت : في الأدباء .
- ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) : ذكره ياقوت : في الأدباء .
- وعامر بن شراحيل الشعبي (ت بعد ١٠٠هـ) : ذكره المرزباني في النحويين واللغوين والأدباء ، وذكره ياقوت : في الأدباء .

  وقال عنه ابن حبان في الثقات : «كان فقيها شاعرا»[1] .
- والإمام الفقيه المحدث القدوة الحسن البصري (ت١١٠هـ) :

  ذكره ياقوت : في الأدباء .

وقال أبو عمرو ابن العلاء (ت١٥٤هـ) : «ما رأيت أفصح من الحسن والحجاج ، قيل : فأيهما أفصح ؟ قال : الحسن» .

---

(١) الثقات (٥/ ١٨٥) .

وقال عبدالله بن عون : «كان يُشبّه كلام الحسن بكلام رؤبة بن العجاج – يعني في الفصاحة – » .

ولذك لما سُئل الحسن: «يا أبا سعيد، والله ما نراك تلحن؟! فقال: يا ابن أخي ، إني قد سبقتُ اللحن» .

وقال أبو حيان التوحيدي عن الحسن البصري : «لو كان كلام الناس حجرًا ، لكان كلام هذا الرجل ذهبا وفضة» .

- وعبدالرحمن بن هرمز الأعرج (ت١١٧هـ) الحافظ المقرئ ، وهو من أجل وأحفظ الرواة عن أبي هريرة رضي الله عنه :

ذكره الزُّبَيدي والسيرافي وأبو المحاسن التنوخي : في النحاة ، بل هو أحد من قيل عنه : إنه أول من وضع علم اللغة ، وأنه أخذ علمها من أبي الأسود الدُّؤلي.

- وقتادة بن دِعامة (ت١١٧هـ) ، وهو من معادن الرواية الحديثية ، عدّه علي بن المديني سادسَ ستةٍ تدور عليهم السنن :

وذكره ياقوت : في الأدباء ، وذكره القفطي : في النحاة ، وقال عنه : «مقدَّمٌ في علم العربية والعرب ، عالم بأنسابها وأيامها ، لم يأت عن أحد من ذلك أصح مما أتى عنه في علم العرب ، وهو إمام في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد كان الرجلان من بني أمية يختلفان في البيت من الشعر ، فيُبردان بريدا إلى قتادة ، فيسألانه ... وقال أبو عمرو ابن العلاء : ما كنا نفقد

راكبا يقدم من عند بني مروان إلى قتادة يسأله عن شعر أو نسب أو حديث أو فقه » .

- وسِمَاك بن حرب (١٢٣هـ) : ذكره الزُّبَيدي والقفطي والفيروزبادي : في النحاة .

- عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ، المعروف بأبي الزناد (ت١٣٠هـ) : من حفاظ الحديث وفقهاء المدينة .

قال عنه محمد بن سعد : «كان ثقة ، كثير الحديث ، فصيحا ، بصيرا بالعربية ، عالما ، عاقلا » .

- سليمان بن مهران الأعمش (ت١٤٧هـ) :

ذكره المرزباني في النحويين واللغوين والأدباء .

وقال وكيع بن الجراح : « أتيت الأعمش أسمع منه الحديث ، وكنت ربما لحنت . فقال لي : يا أبا سفيان ، تركتَ ما هو أولى بك من الحديث ! فقلت : يا أبا محمد ، وأي شيء أولى من الحديث ؟! فقال : النحو . فأملي عليَّ الأعمش النحو ، ثم أملى عليَّ الحديث» .

واشتهرت قصته مع أبي عمرو بن العلاء ، وهي تدل على علو كعبه في اللغة ، رغم تخطيء أبي عمرو بن العلاء له (وسبق ذكرها) .

- عَمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم المصري (توفي قبل ١٥٠هـ) : من متقدمي حفاظ مصر وأئمتها في الفقه والحديث .

قَال عنه سَعِيد بن عفير : «كان أخطب الناس وأبلغه وأرواه للشعر» .

- ومحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت١٥٠هـ) صاحب السيرة : ذكره ياقوت : في الأدباء .

- شعبة بن الحجاج العتكي الواسطي ثم البصري (ت١٦٠هـ) :

وصح عن الأصمعي أنه قال : «لم نر أحدا قط اعلم بالشعر من شعبة ، ثم قال الأصمعي : قال أنشدني أبو عمرو بن العلاء:

فما جَبُنوا أنّا نشدُّ عليهمُ *** ولكن رأوا نارا تُـحَسُّ وتلفع

قال الأصمعي : فذكرته لشعبة ، فقال ويلك ! ما تقول ؟! إنما هو :

فما جبنوا أنا نشد عليهم *** ولكن رأوا نارا تَـحُشُّ وتلفع

قال الأصمعي وأصاب شعبة ، وأخطأ أبو عمرو بن العلاء ، وما رأيت أحدا أعلم بالشعر من شعبة !!

وذكر الأصمعي أيضًا ، عن شعبة ، أنه قال قال كنت ألزم الطِّرِمّاح بن حكيم (الشاعر) أسأله عن الشعر ، فمررت يوما بالحكم بن عتيبة ، وهو يقول : حدثنا يحيى بن الجزار ، وقال : حدثنا زيد بن وهب ، وقال : حدثنا مِقْسَم ، فأعجبنى، وقلت هذا أحسن من الذي أطلب - أعنى الشعر – ، فمن يومئذ طلبت الحديث .

وقال شعبة : «كان قتادة يسألني عن الشعر ، فقلت : أنشدك بيتا ، وتحدثني حديثا .

وقال أبو داود الطيالسي : سمعت شعبة يقول : «لولا الشعر لجئتكم بالشعبي» . يعني : لولا اشتغالي في أول طلبي بالشعر ، لعلا إسنادي ، ولأدركتُ الرواية

عن التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي . ذلك أن شعبة وُلد سنة ٨٢هـ ، والشعبي توفي بعد المائة .

وقال الدوري في تاريخه عن ابن معين : « حدثنا يحيى ، قال : حدثنا الأصمعي ، عن شعبة ، قال : قال لي سماك : يا شعبة ، ما فعل القفص ؟! يعني: قفصا فيه شِعْر . قال يحيى : أظن شعبة كان له قفص يجعل فيه الشعر .

(قال الدوري :) فقلت ليحيى : بلغني أن شعبة كان صاحب نحو وشعر ؟ قال: نعم ، كان يطلب ذاك قبل أن يطلب الحديث» .

ولذلك كان شعبة يقول (فيما ثبت عنه) : ««تعلموا العربية ، فإنها تزيد في العقل»[1] .

وشعبة هو القائل – فيما صحّ عنه- : « إذا كان المحدث لا يعرف النحو [والعربية] ، فهو كالحمار : يكون على رأسه مخلاة ، ليس فيها شعير »[2] .

وهو القائل – فيما صحّ عنه- : « من طلب الحديث ، فلم يبصر العربية : فمثله مثل رجل عليه برنس ، وليس له رأس »[3] .

---

(١) أخرجه أبو القاسم الزجاجي في أخباره (١٨٧) ، وفي أماليه (١٨٦-١٨٥) ، وأبو هلال العسكري في المعجم في بقية الأشياء (٣٠) .

(٢) أخرجه أبو هلال العسكري في المعجم في بقية الأشياء (٣٨) ، والبيهقي في شعب الإيمان (رقم ١٥٦٦) .

(٣) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والسامع (رقم ١٠٧٣) .

- وحماد بن سلمة (ت١٦٧هـ) أحد أكابر المحدثين ومشاهير حفاظ الأثر : ذكره أبو الطيب اللغوي والزُّبَيدي والسيرافي والمرزباني والفيروزبادي : في النحاة ، وذكره أبو البركات الأنباري وياقوت : في الأدباء .

ومنه تعلم يونس بن حبيب النحوي العربية ، وهو من دفع سيبويه إلى تعلمها ، حتى صار إمام النحو ، كما هو مشهور في ترجمة سيبويه (وكما سيأتي) !!

وكان حماد بن سلمة مشتغلا باللغة عن الحديث ، حتى كان يمر بمجلس الحسن البصري ، فيدعه ، ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم .

وهو القائل : «مثل الذي يطلب الحديث ، ولا يعرف النحو : مثل الحمار عليه مخلاة ، لا شعير فيها» .

بل حماد بن سلمة هو صاحب الفضل على النحويين في أن نَجَمَ فيهم سيبويه، فكتب لهم (الكتاب) !!

قال عبيد الله بن معاذ العنبري : «قال جاء سيبويه إلى الخليل بن أحمد ، فشكا اليه حماد بن سلمة ، قال : سألتُه عن حديث هشام بن عروة عن أبيه في رجل رَعُفَ ، فانتهرني ، وقال لي : أخطأتَ ، إنما هو رَعَفَ ، فقال له الخليل : صدق ، أتلقى بهذا الكلام أبا سلمة ؟!» .

وقال أبو القاسم الزجاج في مجالسه : «حدثنا أبو جعفر[1] قال: حدثنا ابن عائشة عبيد الله[2] قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: جاء سيبويه مع قوم يكتبون

(١) هو المقرئ اللغوي الجليل : أحمد بن محمد بن رستم الطبري .

(٢) هو المحدث الثقة : عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي .

شيئًا من الحديث، فكان فيما أمليت ذِكرَ الصَّفا ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا ، وهو الذي كان يستملي ، فقال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفاء . فقلت: يا فارسي ، لا تقل الصفاء ؛ لأن الصفا مقصور . فلما فرغ من مجلسه ، كسر القلم ، وقال: لا أكتب شيئًا حتى أُحْكِم العربية .

وأما محمد بن يزيد[1] فقال : حدثني غير واحد من أصحابنا ، قال: كان سيبويه مستمليًا لحماد بن سلمة، وكان حماد فصيحًا ، فاستملاه يومًا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس من أصحابي أحدٌ إلا ولو شئت لأخذت عليه ؛ ليس أبا الدرداء . فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء . فصاح به حماد : لحنت يا سيبويه ، ليس هذا حيث ذهبتَ ، إنما هو استثناء . فقال سيبويه: لا جرم والله ، لأطلبن علمًا لا تُلحّنني معه . فمضى ، ولزم مجلس الأخفش مع يعقوب الحضرمي والخليل وسائر النحويين»[2] .

وقال الخطيب في الجامع : « أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن علي البزاز ، قال : أخبرنا محمد بن عمران الكاتب ، قال : قال علي بن سليمان الأخفش : حدثنا المبرد : أن سيبويه كان يستملي على حماد بن سلمة ، فقال له حماد يوما : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدٌ من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ؛ ليس أبا الدرداء" ، فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء ، فقال

---

(١) هو المبرّد إمام اللغة .

(٢) مجالس العلماء لأبي القاسم الزجاجي (١١٨) .

حماد : لحنت يا سيبويه . فقال سيبويه : لا جرم لأطلبن علما لا تلحنني فيه ، فطلب النحو ، ولزم الخليل» .

ومن أخبار حماد بن سلمة الدالة على مكانته العالية جدا في اللغة ، هذا الخبر الذي حدث به الأصمعي :

قال الأصمعي: «أتيت شعبة يوما وعنده حماد بن سلمة ، وهما يتكلمان في حديث، فقال له شعبة: يا أبا سلمة! هذا الفتى الذي ذكرته لك . فقال لي حماد بن سلمة كيف تنشد قول الحطيئة: أولئك قوم ... ؟

فابتدأت القصيدة من أولها:

ألا طرقتنـــــا بعـــــدا هجعــــت هِنـــــدُ
وقـــد سِرْنَ خمسًـــا واتْـــلأَبَّ بنـــا نجـــدُ

إلى أن بلغتُ البيت :

أولئـــك قـــومٌ إنْ بَنَـــوْا أحســـنوا البِنـــا
وإن عاهـــدوا أَفَـــوْا وإن عَقَـــدوا شَـــدُّوا

فقال لي حماد بن سلمة: يا بني! إن العرب تقول: بنى يبني بِناءً في العمران، ويقولون في الشرف: بنا يبنو بُناء ، فأنشد هذا:

أولئك قومٌ إنْ بَنَوْا أحسنوا البُنى

فعرفت قدر حماد بن سلمة من ذلك اليوم، فما كنت أنشده إلا ما كنت أتقنه» .

- عبد الله بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ) : أديب وشاعر ، له ديوان شعر . وقد ترجم له ابن الجراح (ت٢٩٦هـ) في كتابه عن تراجم الشعراء الـمُحْدَثين

المسمى بكتاب (الورقة) . وقال في تقدمة ترجمته : « عبد الله بن المبارك : الفقيه ، يكنى أبا عبد الرحمن ، خراساني مروزي ، شاعر ، له الأبيات في الزهد وذم الدنيا ، دون غير هذا الصنف من الشعر ، وكان يأخذ شعره من الأخبار التي يرويها »[1] .

وكان وصفه بالشعر أحد أهم مناقبه التي عدها له سفيان بن عيينة ، لما بلغه موته ، فنعاه بقوله : «رحمه الله ، لقد كان فقيها ، عالما ، عابدا ، زاهدا ، سخيا شجاعا ، شاعرا» .

وهو القائل : «لا يبتلى الرجل بنوع من العلوم ، ما لم يزين علمه بالأدب» .

وقال الحسن بن عيسى : « اجتمع جماعة من أصحاب بن المبارك ، مثل : الفضل بن موسى ، ومخلد بن حسين ، وغيرهما ، فقالوا : تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ، فقالوا : جمع العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصات ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزو ، والفروسية ، والشجاعة ، والشدة في بدنه ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه» .

وقال العباس بن مصعب : «جمع الحديث والفقه والعربية والشجاعة والتجارة والسخاء والمحبة عند الفراق » .

- وعلي بن نصر بن علي الجهضمي (ت١٨٧هـ) حافظ من رواة الجماعة : ذكره أبو الطيب والزُّبَيدي والسيرافي : في النحاة ، وذكره ياقوت : في الأدباء ،

---

(١) الورقة لابن الجراح (١٥) .

وذكره السيرافي ضمن أهم أربعة أخذوا النحو عن الخليل بن أحمد (مع سيبويه ، والنضر بن شميل ، ومؤرج) ، ويكفي أن يُذكر في سياق يُذكر فيه سيبويه ، ثم قال السيرافي : ((وغلب على علي بن نصر الحديث)) .

- أبو بكر بن عياش الكوفي المقرئ (ت١٩٤هـ) وقد قارب المائة .

ذكره المرزباني في النحويين واللغوين والأدباء ، وترجمه ياقوت في معجم الأدباء.

- وأبو عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني الملقّب بالنبيل (ت٢١٢هـ) الحافظ شيخ المحدثين الأثبات (ووالد الحافظ : ابن أبي عاصم صاحب كتاب السنة وكتاب الآحاد والمثاني): ذكره الزُّبَيدي والقفطي والفيروزبادي : في النحاة، وذكره ياقوت : في الأدباء .

- وحبان بن هلال الباهلي (ت٢١٦هـ) : من رجال الأمهات الست .

وقال بكار بن قتيبة : «ما رأيت نحويا يشبه الفقهاء – يعني في سمتهم وتدينهم – إلا حبان بن هلال والمازني» .

- وأبو عُبيد القاسم بن سَلّام الهروي (ت٢٢٤هـ) ، الإمام في الحديث والفقه واللغة والقراءات ، صاحب المعجم اللغوي (الغريب المصنف) ، وصاحب (غريب الحديث) في غريب الحديث : ذكره أبو الطيب اللغوي والزُّبَيدي والمرزباني والقفطي وعبدالباقي اليماني : في النحاة واللغويين ، وذكره أبو البركات الأنباري وياقوت : في الأدباء .

- وعمر بن شبة (ت٢٦٢هـ) الحافظ الأخباري ، وهو من شيوخ ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم : ذكره المرزباني في النحويين واللغويين والأدباء ، وذكره ياقوت : في الأدباء ، ووصفه الذهبي بـ(النحوي) في السير ، وذكره السيوطي : في طبقات النحاة ، وله كتاب في النحو ، وكتب في الشعر . مع تآليفه في رواية السنة ، منها (أخبار المدينة) المطبوع باسم تاريخ المدينة .

- وحافظ الأندلس بقي بن مخلد (ت٢٧٦هـ) ، صاحب (المسند) الكبير الذي يُضرب بكبره المثل ، وكان هو ومحمد بن وضاح الأندلسي اللذين أشهَرَا الحديثَ وكثّراه بالأندلس: ذكره ياقوت : في الأدباء .

- وإبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥هـ) صاحب (غريب الحديث) ، وكان من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، ومن أئمة الحديث : ذكره الفيروزبادي : في النحاة ، وذكره أبو البركات الأنباري وياقوت : في الأدباء .

- والحافظ أسلم بن سهل الواسطي الشهير ببحشل (ت٢٩٢هـ) صاحب (تاريخ واسط) : ذكره ياقوت : في الأدباء .

- وأبو بكر ابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن حرب (ت٢٩٧هـ) ، الإمام الناقد الحافظ صاحب التاريخ الكبير في تراجم الرواة والجرح والتعديل عن يحيى بن معين وغيره من أئمة الحديث : ذكره ياقوت : في الأدباء .

- والقاسم بن ثابت الأندلسي السَّرَقُسْطِي (ت٣٠٢هـ) صاحب الدلائل في غريب الحديث : ذكره الزُّبَيدي والقفطي والسيوطي : في النحاة ، وذكره ياقوت : في الأدباء .

- والحافظ الراوية أبو خليفة الفضل بن الحباب (ت٣٠٥هـ) ، من مشاهير شيوخ ابن حبان في صحيحه الذين أكثر عنهم : ذكره الزُّبَيدي والفيروزبادي : في النحاة ، وذكره ياقوت : في الأدباء .

- والإمام الحافظ الخرائطي : محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (ت ٣٢٧هـ) ، صاحب كتاب (مكارم الأخلاق) وكتاب (مساوئ الأخلاق) . وله في الأدب كتاب مطبوع في الحب والعشق ، سماه (اعتلال القلوب) في أخبار العشاق .

ذكره ياقوت في معجم الأدباء .

ومن لطيف تبويباته في كتابه (اعتلال القلوب) :

- «باب من عف في عشقه عن مواقعة الحرام ،وراقب الله تعالى التماسَ جزيلِ الثواب» .
- «باب ذكر فضيلة الجمال ، وما خص الله تعالى به أهله وألزمهم إياه، وإشارتهم بطلب الحوائج وإغراء الشعراء في نعته» .

- وأبو حاتم ابن حبان البُستي صاحب الصحيح (ت٣٥٤هـ) و(الثقات) و(المجروحين) وغيرها من أهم المصنفات الحديثية : وله كتابٌ في الأدب هو (روضة العقلاء) ، وذكره القفطي : في إنباه الرواة على أنباه النحاة .

- وأبو عَمرو الحيري : محمد بن أحمد بن حمدان (ت٣٧٦هـ) ، حافظٌ من حفاظ الحديث ، ومُسنِدٌ كبير ، وهو راوي مسند أبي يعلى الموصلي الذي

وصل إلينا ، وقد طُبع مسند أبي يعلى عن روايته له : وصفه الذهبي في السير بـ(النحوي) ، وذكره السيوطي : في طبقات النحاة .

- وأبو بكر الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) إمام علوم الحديث ، ومن (لا شك عند كل لبيب أن المتأخرين من المحدثين عيال على أبي بكر الخطيب) : ذكره ياقوت : في الأدباء ، وقد طُبع له في الأدب كتابان : (التطفيل وحكايات الطفيليين) ، و(البخلاء) .

- وابن ماكولا (ت٤٧٥هـ) صاحب أشهر كتب الضبط عند المحدثين (الإكمال) و(تهذيب مستمر الأوهام) : ذكره ياقوت : في الأدباء .

- وأبو عبد الله الحميدي (ت٤٨٨هـ) صاحب (الجمع بين الصحيحين) و(جذوة المقتبس) وغيرها من المصنفات الحديثية : ذكره ياقوت : في الأدباء.

- وخميس الـحَوْزِي الحافظ الواسطي (ت٥١٠هـ) الذي سأله أبو طاهر السلفي عن جماعة من النقلة ، فتكلم فيهم جرحا وتعديلا ، في سُؤالات حديثيّةٍ مطبوعة: ذكره العماد الأصبهاني (في خريدته) ، وياقوت الحموي : في الأدباء ، وذكره القفطي : في النحاة.

وسيأتي ذكر بعض شعره .

- ومحمد بن ناصر السَّلامي حافظ بغداد وشيخ محدّثيها (ت٥٥٠هـ) صاحب كتاب (التنبيه على الألفاظ التي وقع في نقلها أو ضبطها تصحيفٌ وخطأ في

تفسيرها ومعانيها أو تحريف في كتاب الغريبين عن أبي عبيد الهروي): ذكره القفطي : في النحاة .

- وأبو موسى المديني : محمد بن عمر بن أحمد (ت٥٨١هـ) ، صاحب كتاب (المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث) ، من أكابر الحفاظ ومن أشهر محدثي أصبهان : وصفه ابن النجار وابن خلكان بالمهارة في النحو واللغة ، وكتابه في غريبي القرآن والحديث يشهد له بالإمامة في ذلك .
- وأبو طاهر السِّلَفي (ت٥٧٦هـ) الحافظ الشهير ، صاحب الكتب الكثيرة في الحديث وعلومه : كان متأدبًا ، يقول الشعر ، ذكره العماد الأصبهاني في خريدة القصر في أدباء أصبهان ، وذكر عددا من قصائده . وجمع الدكتور حسن عبد الحميد صالح ما وجده من شعره في كتابه (الحافظ أبو طاهر السِّلفي) .

تنبيه : لا أقصد بذكر هؤلاء الأئمة الذين أوردتُهم في هذا المسرد أن أذكر من المحدثين من كان له معرفة باللغة تخرجه عن حيز الجهل بها ، ولا من كان منهم فصيحا لا يلحن ، فهؤلاء عدد كبير جدا .

وكما لا أقصد بذكر هؤلاء الأئمة الذين أوردتُهم في ذلك المسرد أن أذكر من المحدثين كل من كان لا يلحن منهم ، كما سبق ، فإني لا أقصد بهم أيضًا ذِكْرَ رواة الحديث مِن أئمة اللغة . فلا أقصد ذِكْرَ من روى السنة وهو في الوقت نفسه إمامٌ من أئمة اللغة = فهؤلاء كثيرون جدا ، بل هم أئمة اللغة والأدب المعروفون كلهم ، أو يكادون

يكونون كذلك ، فرواية الحديث كانت جزءا من ثقافة أهل العلم في ذلك العصر بجميع تخصصاتهم ، حتى خصوم أهل الحديث من الجهمية والمعتزلة !

وإنما أقصد بالمسرد السابق فقط : من جمع بين العلم بالحديث والانشغال به ، مع إمامته في اللغة . لكي يكون ذلك أدل وأقوى على عمق أثر العلم باللغة بنقد المحدثين ، وعلى صياغة قواعد علمهم .

ولذلك فلم أذكر قائمة طويلةً جدا من أئمة اللغة والشعر والأدب ، ممن روى السنة ، بل كان مع روايته للسنة محلَّ ثقةِ المحدثين : حكموا عليه بالثقة أو بمطلق القبول والاحتجاج بنقله . رغم أن في ذكرهم ما ينفع في بيان علاقة نَقَلَةِ السنة باللغة ، وأن من ثقات رواة الحديث أئمةَ النحو واللغة ، وأنهم شاركوا في عملية رواية السنة وحفظها وضبطها ، لا كما يزعم الشاتمون لأهل الحديث ، وكأن عملية نقل السنة اختصت بالعجم والجهلة باللغة !!

وكأمثلة فقط لهؤلاء اللغويين والأدباء المحدّثين المقبولين عند أئمة السنة احتجاجًا بحديثهم ، سوف أذكر في هذا السياق بعضًا منهم ، يوضح انخراط أكبر أئمة اللغة والأدب في سلك الرواة الثقات للسنة . فمنهم[1] :

- أبو الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ : من رجال الأمهات الست) .
- قبيصة بن جابر بن وهب الأسدي (ت٦٩هـ) : ثقة مخضرم من رجال النسائي.
- ونصر بن عاصم الليثي (من كبار التابعين ، ومن رجال مسلم والسنن) .

---

(١) كل من ذكرته في هذا المسرد ولم أتعقب اسمه بذكر شيء من خبره : فهو ممن استغنى بالإمامة في اللغة والأدب عن الاستدلال له على ذلك .

- عمر بن عبد الرحمن بن مُحَيصِن السهمي أبو حفص قارىء أهل مكة (ت١٢٣هـ) :

قال مجاهد بن جبر : «ابن محيصن يبني ويرص ، يعني أنه عالم بالاثر والعربية» .

- عبد الله بن طاوس بن كيسان اليماني (ت١٣٢هـ) :

قال معمر بن راشد : « كان من أعلم الناس بالعربية» .

- علقمة بن أبي علقمة المدني (توفي سنة بضع وثلاثين ومائة) :

قَال محمد بن سعد : مات في أول خلافة المنصور ، وله أحاديث صالحة ، وكان له كُتّاب يعلم النحو والعربية والعروض .

- وأبو عمر عيسى بن عمر الثقفي البصري (ت١٤٩هـ) .

- شُبيل بن عَزْرَة الضُّبَعي ، وهو خَتَنُ قتادة بن دعامة (أي : زوج ابنته) :

قال المرزباني : «له مع أبي عمرو بن العلاء ويونس بن عبيد النحوي أخبار ، وله قصيدة طويلة معربة ، رواها أبو عبيدة ، واستشهد منها في كتاب العين بأبيات كثيرة ، وقيل إنه كان يرى رأي الخوارج ، ثم رجع عنه ، وأُنشد له في كلا الأمرين شعرا » .

وقال الجاحظ في كتاب البيان : «كان راوية خطيبا وشاعرا ناسبا » .

- وأبو عَمرو ابن العلاء إمام القراء واللغويين (ت١٥٤هـ) .

- وحمزة بن حبيب الزيات المقرئ (ت١٥٦هـ أو ١٥٨هـ) .

- والخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب النحو والعروض (١٦٠هـ ، من رجال التهذيب) .

- جَبْرُ بن حبيب البصري : من ثقات أتباع التابعين .

قال عنه ابن خلفون : «كان إماما في اللغة » .

- محمد بن عبد الرحمن بن عبيد القرشي التَّيْمِيّ الكوفي ، مولى آل طلحة بن عُبَيد الله : من ثقات أتباع التابعين .

قال عنه ابن عُيَيْنَة : «كان من أعلم من عندنا بالعربية» .

- وعلي بن حمزة الكسائي القارئ (ت١٨٩هـ) .

- والنضر بن شُمَيل (ت٢٠٤هـ من رجال الأمهات الست) .

وَقَال العباس بن مصعب المروزي : «بلغني أن عَبد الله بن المبارك سئل عن النضر بن شميل ، فقال : ذاك أحد الأحدين ، لم يكن أحد من اصحاب الخليل يدانيه» .

وَقَال العباس ايضا : «كان النضر بن شميل إماما في العربية والحديث وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان» .

- والفراء (ت٢٠٧هـ ، من رجال التهذيب) .

- وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ ، من رجال أبي داود) .

- وأبو عَمرو الشيباني صاحب كتاب (الجيم) المعجم اللغوي الأصيل (ت ٢١٠هـ ، من رجال مسلم) .

- والأصمعي (ت٢١٦هـ ، من رجال مسلم والسنن) .

- وأبو زيد الأنصاري (ت٢١٤هـ ، من رجال السنن) .

- والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ) .

- وهارون بن موسى الأزدي العتكي المقرئ النحوي (من رجال الشيخين والسنن) .

- وأبو عُمر صالح بن إسحاق الجرمي (٢٢٥هـ) .

- عُبَيد الله بن محمد بن حفص بن عُمَر بن موسى بن عُبَيد الله بن معمر القرشي التَّيْمِيّ ، المعروف بابن عائشة ، والعائشي ، والعيشي (ت٢٢٨هـ) : أديب عالم بالعربية والأخبار والأنساب ، وهو من ثقات المحدثين .

- علي بن عَثَّام بن علي العامري الكلابي الكوفي نزيل نيسابور ثقة فاضل (ت٢٢٨هـ) :

قال الحاكم في تاريخه : «أديب فقيه حافظ زاهد واحد عصره لا يحدث إلا بالجهد وأكثر ما أخذ عنه الحكايات والزهديات والتفسير والجرح والتعديل».

- محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) صاحب كتاب (طبقات فحول الشعراء) .

- أحمد بن حاتم البغدادي النحوي أبو نصر (ت٢٣١هـ) .

- فضالة بن إبراهيم التَّيْمِيّ النسوي ثم المروزي :

قال ابن حبان : « فضالة بن إبراهيم التَّيْمِيّ أبو أحمد من أهل نسا : من كبار أصحاب ابن المبارك ، وكان قتيبة بن سَعِيد معه بمصر. وكان من أهل الحفظ والضبط والعلم باللغة والشعر» .

- وأبو عثمان المازني (٢٣٦هـ) .
- مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري (ت٢٣٦هـ) .
- الحسين بن عيسى بن حُمْران الطائي ، أبو علي الخراساني القومسي ، البسطامي ، الدامغاني (٢٤٧هـ) : قال عنه الحاكم أبو عبد الله : « من كبار المحدثين وثقاتهم من أئمة أصحاب العربية» .
- وأبو حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ ، من رجال التهذيب) .
- الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ) .
- والرياشي (ت٢٥٧هـ ، من رجال أبي داود) .
- علي بن حرب بن محمد بن حرب بن حيان بن مازن الطائي أبو الحسن الموصلي (ت٢٦٥هـ) .

وَقَال أبو زكريا الأزدي صاحب (تأريخ الموصل) : «كان عالما بأخبار العرب وأنسابها وأيامها أديبا شاعرا» .

- وابن قتيبة الدِّيْنَوَرِي (ت ٢٧٦هـ ، خطيب أهل السنة) .
- والمبرِّد (ت ٢٨٦هـ ، صاحب الكامل) .
- وأبو سعيد السكري (ت٢٩٠هـ ، صانع الدواوين وراويها) .

- وثعلب أحمد بن يحيى صاحب الفصيح (ت٢٩١هـ) .

- وإبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ ، وكان على منهج أهل الحديث في المعتقد ، وهو ممن روى كتاب التفسير للإمام أحمد) .

- والأخفش الصغير علي بن سليمان (٣١٥هـ) .

- وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت٣٢٨هـ) الحافظ الكبير .

قال الخطيب البغدادي : « كان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظا له . وكان صدوقا، فاضلا، دينا، خيرا، من أهل السنة، وصنف كتبا كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، والمشكل، والوقف والابتداء، والرد على من خالف مصحف العامة».

وهو صاحب كتاب (الأضداد) المطبوع في اللغة .

- وابن السراج محمد بن السري (ت ٣١٦هـ ، صاحب كتاب : أصول العربية) .

- ونفطويه (ت٣٢٣هـ ، وكان صاحب سنة) .

- وأبو جعفر ابن النحاس (ت٣٣٨هـ) .

- وعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي (ت ٣٤٧هـ ، وهو راوي كتاب المعرفة والتاريخ للفسوي : في علم الجرح والتعديل) .

- والأزهري صاحب تهذيب اللغة (ت٣٧٠هـ وكان سني المعتقد).

- وابن فارس صاحب مقاييس اللغة (ت٣٩٥هـ ، وله روايات مسندة في كتبه) ..

- ابن دُوْسْتْ عبد الرحمن بن محمد بن محمد النيسابوري (ت٤٣١هـ) : نحوي من ثقات المسندين .

وغيرهم كثير من ثقات اللغويين عند أئمة الجرح والتعديل .

تنبيه آخر : حول مصادر تراجم النحاة واللغويين والأدباء في المسردين السابقين :

- ما عزوته إلى أبي الطيب اللغوي (ت٣٥١هـ) ، فهو من كتابه (مراتب النحويين) له .

- وما عزوته إلى الـزُّبَـيدي الأندلسي محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشر (ت ٣٧٩هـ) ، فهو من كتابه (طبقات النحويين واللغويين) .

- وما عزوته إلى السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ، فهو من كتابه (أخبار النحويين البصريين) .

- وما عزوته للمرزباني (ت٣٨٤هـ) فهو إلى كتابه (المقتبس) في تراجم النحويين واللغويين والأدباء ، الذي اختصره نجم الدين بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي (ت٦٤٦هـ) في كتابه (الشهاب القبس) ، والذي انتخب منه الحافظ يوسف بن أحمد اليغموري في (نور القبس) . فـ(نور القبس) هو واسطتي إلى كتاب المرزباني ، وهو مختصر من مختصر ؛ لفقدان الأصل .

- وما عزوته إلى التنوخي (ت٤٤٢هـ) ، فهو من كتابه (تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين) .

- وما عزوته إلى أبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ) ، فهو من كتابه (نزهة الألِبّاء في طبقات الأدباء) .

- وما عزوته للقفطي (ت٦٢٤هـ) ، فهو من كتابه (إنباه الرواة على أنباه النحاة) .

- وما عزوته لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) ، فهو من (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) المشهور بـ(معجم الأدباء) .

- وما عزوته إلى عبدالباقي اليماني (ت٧٤٣هـ) ، فهو من كتابه (إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين) .

- وما عزوته إلى الفيروزبادي (ت٨١٧هـ) فهو من كتابه (البُلْغة في تراجم أئمة النحو واللغة) .

- وما عزوته إلى السيوطي (ت٩١١هـ) ، فهو من كتابه (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) .

الشعراء من ثقات المحدثين

وشيء من شعرهم

[١] شُرَيح بن الحارث بن قيس النخعي القاضي المخضرم (توفي قبل ٨٠هـ) :

وقَال أيوب بن جابر ، عَن أبي حصين : « كان شاعرا ، قائفا» .

وَقَال محمد بن سيرين : «كان شريح شاعرا ، وكان زاجرا ، وكان قائفا ، وكان كوسجا ، وكان قاضيا» .

وترجم له أبو الفرج الأصفهاني ؛ لأنه غُني له ببعض شعره في الغزل .

وقال عنه ابن رشيق القيرواني في العمدة : «كان شاعرا مجوّدًا» .

ومما قاله في زوجه زينب (وهي من الشعر المغنى) :

إِذَا زَيْنَـــبٌ زَارَهَـــا أَهْلُهَـــا   حَشَـــدْتُ وَأَكْرَمْـــتُ زُوَّارَهَـــا

وَإِنْ هِـــيَ زَارَتْهُـــمُ زُرْتُهُـــم   وَإِنْ لَمْ أجـــد لِي هَـــوًى دَارَهَـــا

ومـــا زلـــت أرعـــى لهـــا عهـــدَها   ولم أتّبـــع ســـاعة عارهـــا

فسِـــلْمي إذا ســـالمت زينـــبٌ   وحـــربي إذا أشـــعلت نارهـــا

وقال عنها :

رَأَيْـتُ رِجَـالا يَـضْرِبُونَ نِسَـاءَهُمْ   فَشُـلَّتْ يَمِينِـي يَـوْمَ أَضْرِبُ زَيْنَـبَا

أَأَضْرِبُهَـا فِي غَـيْرِ جُـرْمٍ أَتَـتْ بِـهِ   إِلَيَّ ، فَـمَا عُـذْرِي إِذَا كُنْـتُ مُـذْنِبَا

فَـتَاةٌ تَـزِينُ الْـحَـلْيَ إِنْ هِـيَ زُيِّنَـتْ   كَـأَنَّ بِفِيهَـا الْمِسْـكَ خَـالَطَ مَـحْلَبَا

وَزَيْنَـبُ شـمسٌ وَالنِّسَـاء كواكـبٌ   إِذا طلعـت لم تُـبْقِ مِـنْهُنَّ كوكبـا

فَلَـوْ كُنْـتَ يَـا شَـعْبِيُّ صَـادَفْتَ مِثْلَهَـا   لَعِشْـتَ زَمَانًـا نَـاعِمَ الْبَـالِ مخْصِـبًا

***

[٢] الهيثم بن الأسود النخعي الـمَذْحِجي ، أبو العريان الكوفي (توفي بعد الثمانين) :

وفي كتاب «الأدب» للبخاري أن معاوية قال له حين دخل عليه: مَرْحَبًا مَرْحبًا، فقال له رجل معه على السرير: من هذا؟ فقال: هذا سيد أهل المشرق.

قال محمد بن سعد : «كان من رجال مَذْحِج ، وكان خطيبا شاعرا » .

ووثقه العجلي .

وذكره المرزباني في معجم الشعراء (كما في تهذيب التهذيب) ، وقال عنه : « هو أحد الشعراء ، وكان عثمانيا منحرفا ، وهو أحد من شهد على حجر بن عدي» .

وقال عنه الإمام الذهبي : « أحد المعمَّرين الشعراء، وله شرف وبلاغة وفصاحة» .

وهو القائل (وهو من مختار الحماسة البصرية) :

وأعلـم علـمًا لـيس بـالظنِّ أنـه   إذا ذلَّ مَـوْلَى المـرْءِ فهـو ذليـلُ
وأنَّ لسـانَ المـرْءِ - مـا لم تكـن لـه   حَصَـاةٌ - عـلى عوراتـه لـدليلُ
مـن يسـتعنْ بالصـمت يومًـا فإنـه   يُقـال لـه لُـبٌّ نهَـاه أصـيلُ

وفي الحماسة البصرية قوله :

بنـي عَمِّنَـا إن الْعَـدَاوَة شَرُّهـا   ضـغائنُ تبقـى في نفـوس الْأَقَـارِب
تكـون كـداءِ الْـبَطن لَـيْسَ بِظَـاهِر   فَيـبرا ، وداءُ الْـبَطن مـن شَرِّ صَـاحب
بنـى عَمِّنَـا إن الجْنَـاح يَشَـلُّه   تَـنَقُّصُ نَسْـلِ الـرّيش مـن كـل جَانـب

وله في وصف علامات كِبَر السنّ :

اسمعْ أُنبِّئْك بآيات الكِبَرْ

تَقاربُ الخطو ، ونقصٌ في البصر

وقِلّةُ الطُّعْم إذا الزادُ حضر

وقلةُ النومِ إذا الليلُ اعْتَكَرْ

أوّلُه نومٌ وثُلْثاه سهر

وسَعْلةٌ تعتادني مع السحر

وكثرةُ النسيان فيما يُدَّكر

وحَذَرًا أزداده إلى حذر

وفَرْكُكَ[1] الحسناءَ في قُبُل الطُّهُر

والناس يَبْلَوْنَ كما يبلى الشجر

وقال لمن لامه على شهادته على حُجْرِ بن عدي لما أن بعث به زياد بن أبيه إلى دمشق ليُقتل هناك :

ألا مَن عذيري من عُميرٍ ومن عَمْرو
يلومانني أن مال دهرٌ على حُجْرِ

وهل ليَ ذنب أنْ زيادٌ أراده
وأصحابَه يومًا بقاصمة الظهرِ

وقد حدَّثَ الأقوامُ مَيْنًا[1] بأنني

(١) الفرك : البغض والكراهية .

دَلَفْتُ له عمدًا بداهيةٍ هَتْرْ[٢]

فهلّا إذن إن كُنتَ حُرًّا منعتَه

وطاعنتَ عنه بالمثقَّفةِ السُّمر

وقال العميدي في سرقات المتنبي : « الهيثم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بأبي عريان العثماني :

إذا نال بالسيف الفتى سُؤْلَ نفسِه ... تَرَفَّعَ عن تدنيسها بسؤالِ

ومن لم يَصُن في حاجةٍ ماءَ وجهه ... عن الناسِ لم يلبَسْ ثيابَ جَلالِ

قال المتنبي:

من أطاق التماس شيءٍ غلابا ... واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

كم بين القولين إذا تأملتهما، وتصفحتهما» .

وقال العميدي : « الهيثم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بأبي العُريان العثماني من قصيدة:

أعاذلتي كم مَهْمَهٍ قد قطعتُه ... أليفَ وحوشٍ ساكنًا غيرَ هائبِ

أنا ابن الفلا والطعن والضّربِ والسُّرى ... وجُرْدِ المذاكي والقنا والقواضب

حليمٌ وقورٌ في النّوادي ، وهيبتي ... لها في قلوب الناس بَطْشُ الكتائب

قال المتنبي:

فالخيل والليل والبيداء تعرفني ... والطعن والضرب والقرطاس والقلم

صحبتُ في الفَلَوات الوحشَ منفردًا ... حتى تعجَّبَ منّى القورُ والأكم»

انتهى كلام العميدي .

---

(١) المينُ : الكذب .

(٢) الهتر : تمزيق العِرْض والبَهْتُ في الذمّ .

وهو القائل :

فَقلتُ لِمَذْحِجٍ قُومُوا فَشُدُّوا مآزرَكم فقد بَرِحَ الخفاءُ
فَإِن الحرْبَ يجنيها رجالٌ وَيصْلَى حرَّهَا قومٌ بَرَاء

***

[٣] عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الله المدني الفقيه الاعمى أحد الفقهاء السبعة بالمدينة (ت٩٤هـ) : ومن رجال الجماعة ، وهو أجلُّ من أن يُوثّق.

وهو وإن كان من فقهاء المدينة السبعة ، لكن محفوظ حديثه لا يقل عن محفوظ فقهه.

وقال الزهري :«قلت لِعُبَيْدِ اللهِّ بْنِ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عُتْبَةَ : تقول الشعر في فضلك ونسكك ؟! فقال : إن المصدور إذا نفث برأ» .

وقال في الردِّ على من عابه بالشعر :

وعَيّابةٍ للشعر ظلّتْ سَفاهةً تُحمّلني إثمًا ولم آتِ مأثما
أمامةُ عني بعضَ لومِك أقصري ولا تنكري سَرْدَ القوافي فإنما
هو الشعر إن جا صادقَ النظم عُنوةً ولا غروَ للمشتاق أن يترنّما

وَقَال الواقدي : «كان عالما ، وقد ذهب بصره ، وكان ثقة فقيها كثير الحديث والعلم، شاعرا» .

وترجم له أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني ، وقال عنه : « وله شعرٌ فحلٌ جيد ، ليس بالكثير» .

وقال ابن عبد البر : « كان شاعرا محسنا ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا هذا فيما علمت فقيهٌ أشعرَ منه ، ولا شاعرٌ أفقهَ منه . وفي الذين لا علم لهم غير الشعر وصناعته من يقدم عليه» .

وقد جمع شعره إبراهيم بن سعد الحقيل ، وطُبع في دار أروقة بعمان ، سنة٢٠١٣م .

وهو القائل :

أحبُّــك حبًّـا لا يحبــك مثلَــه	قريــبٌ ولا في العاشــقين بعيــدُ
أحبـك حبـا لـو شـعرتِ ببعضـه	لَـجُدْتِ ولم يَصُـعبْ عليـك شـديدُ
وحُبُّــك يــا أم الصــبي مُدَلِّــهي	شــهيدي أبــو بكــر فــنعمَ شــهيدُ
ويعـرف وجـدي القاسـم بـنُ محمـدٍ	وعــروة مــا ألقــى بكــم وســعيد
ويعلـم مـا أُخفـي سـليمان علمَـه	وخارجــةٌ يبـــدي لنــا ويعيــد
متى تَسـألي عـما أقـول وتُـخبري	فللــه عنــدي طــارف وتليــد

هؤلاء فقهاء المدينة السبعة :

- أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (ت٩٤هـ) .
- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٦هـ) .
- عروة بن الزبير بن العوام (ت٩٤هـ).
- سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ) .
- سليمان بن يسار الهلالي (١٠٠هـ) .
- خارجة بن زيد بن ثابت (ت١٠٠هـ) .

- وسابعهم هو الشاعر نفسه : عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة .

ولما بلغت القصيدة سعيد بن المسيب قال لعبيد الله : «أما والله لقد أمنتَ أن تسألنا، وما رجوتَ إن سألتنا أن نشهد لك بزور» .

ومن غزله الشهير قوله في زوجه عثمة بعدما طلقها :

عفت أطلال عثمة بالغَمِيمِ ... فأضحت وهي موحشة الرسومِ

وقال في عثمة أيضا :

تغلغل حبُّ عثمةَ في فؤادي ... فبادِيهِ مع الخافي يسيرُ
تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ ... ولا حزنٌ ولم يبلغ سرورُ
صدعتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه ... هواكِ ، فلِيمَ ، فالتامَ الفُطورُ
أكاد إذا ذكرتُ العهدَ منها ... أطير لَوَ انّ إنسانا يطيرُ

وقال :

لعمري لئن شطّت بعثمة دارُها ... لقد كِدتُ من وشك الفراق أُليحُ[1]
أروح بهمٍّ ثم أغدو بمثله ... ويُحْسَبُ أني في الثياب صحيحُ
فإن كنتُ أغدو في الثياب تَجمُّلًا ... فقلبيَ من تحت الثياب جريحُ

وقال :

كتمتَ الهوى حتى أضرَّ بك الكتمُ ... ولامك أقوامٌ ولَوْمُهمُ ظُلْمُ
ونمَّ عليك الكاشحون ، وقبلهم ... عليك الهوى قد نُمَّ ، لو ينفع النَّمُّ
وزادك إغراءً بها طولُ بُخلها ... عليك ، وأبلى لحمَ أعظمِك الهمُّ
فأصبحتَ كالنهدي[2] إذ مات حسرةً ... على إثر هندٍ أو كمن سُقي السمُّ

---

(١) أليح : أي أهلك .

(٢) هو عمرو بن عجلان أحد مشاهير عشاق العرب .

ألا مـن لـنفسٍ لا تمـوت فيـنقضي   عَناهـا ، ولا تحيـا حيـاةً لهـا طعـم
تَـجنّبتُ إتيـانَ الحبيـب تـأثُّما   ألا إن هجـران الحبيـب هـو الإثـم
فـذُقْ هجرهـا قـد كنـتَ تـزعم أنـه   رشـادٌ ، ألا يـا زاعـما كَـذَبَ الـزَّعْمُ

وقال في أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة وعراك بن مالك ، وقد عتب عليهما موقفا رأى فيه إزراءً عليه :

ألا أبلغـا عنـي عِـراكَ بـنَ مالـكٍ   ولا تـدعا أن تثنيـا بـأبي بكـرِ
لقـد جعلـتْ تبـدو شـواكلُ[1] مـنكما   كـأنكما بي مُـوقَران مـن الصـخر
وطـاوعتما بي داعِكًـا[2] ذا مَعاكـةٍ[3]   لعمـري لقـد أزْرَىٰ ومـا مثلـه يُـزْري
فلـولا اتّقـاءُ الله بُقْيـايَ فـيكما   لَلُمْتُـكُما لَومًـا أحـرَّ مـن الجمـر
فَمُسّـا تـرابَ الأرضِ منهـا خُلِقْـتُما   وفيهـا المعـاد والمصـير إلى الـحشر
ولا تأنفـا أن تسـألا وتُسَـلِّما   فـما حُـشيَ الإنسـانُ شرًّا مـن الكـبر
ولـو شـئتُ أَدلىَ فـيكما غـيرُ واحـدٍ   علانيـةً أو قـال عنـديَ في السـرِّ
فـإن أنـا لم آمـرْ ولم أنْـهَ عـنكما   ضـحكتُ لـه حتـى يستلجَّ ويستـشري

وقوله :

فَمُسّـا تـرابَ الأرض منهـا خلقـتما   وفيهـا المعـاد والمصـير إلى الـحشر

هو بيت القصيد ، مع البيت الأخير أيضا !

وكان مرة عاتبا على عمر بن عبد العزيز ، لأنه غضب عليه وعلى عروة بن الزبير ، لأنهما لم يُسمعاه ما يحب من القول ، فأنهى مجلسهما معه بغضبه عليهما حتى خرجا . فقال أبياتا يقول فيها :

---

(١) شواكل : أي أخلاق ونيات مختلفة متباينة .

(٢) داعكا : خصمًا لدودًا .

(٣) المماعك : هو اللجوج في الخصومة ، من المماعكة : وهي الدَّلك .

فمالـك بالسـلطان أن تحمـل القـذى جفــونٌ عيــونٍ بالقــذى لم تُكَحَّــلِ

ومـا الحـق أن تهـوى فَـتُسْعَفَ بالـذي هَوَيْـتَ ، إذا مـا كـان لـيس بأعـدلِ

أبـى الله والأحسـابُ أن تَـرْأَمَ الخنـا نفــوسٌ كــرامٌ بالخنــا لم تُوكَّــلِ

***

[٤] عامر بن شراحيل الشعبي (ت بعد ١٠٠هـ) :

ذكره المرزباني في النحويين واللغوين والأدباء ، وذكره ياقوت : في الأدباء .

وقال عنه ابن حبان في الثقات : «كان فقيها شاعرا»(١) .

ومن شعره في أمالي القالي وزهر الآداب للحصري القيرواني ، وهي للأقرع بن معاذ القشيري ، وإنما أنشدها الشعبي ، فنُسبت إليه خطأً ، فذكرتها لأنها نُسبت إليه ، ولكونه أنشدها في رقة غزلها مع جلالته وعلو قدره في العلم :

أعينـيّ مهـلًا طالمـا لم أقـل مهـلا ومـا سرفًـا مِ الآنَ قلـتُ ولا جهـلا

وإن صِــبا ابــنِ الأربعــين ســفاهةٌ فكيـف مع اللاتي مُثِلْتُ بها مَثْلا

يقــول ليَ المفتــي وهــنّ عشــيةً بمكـة يسحبن المهدبـة السُّحْلا(٢)

تَــقِ الله لا تنظــر إلــيهنّ يــا فتــى ومـا خِلْتُنـي فِي الحـج ملتمسًـا وصـلا

قطــافُ الــخُطا ملتفّــةٌ رَبَلاتهـا(٣) ومــا اللُّــفُّ أفخــاذًا بتاركـةٍ عقــلا

ووالله لا أنســى وإن شــطَّتِ النَّــوَىٰ عــرانينَهن الشُّــمَّ والأعــين الــنُّجلا

ولا المسـكَ مـن أعـرافهن ولا البُرى(٤) جواعــلَ في أوســاطها قصـبا خَـدْلا(١)

---

(١) الثقات (٥/ ١٨٥) .

(٢) السحل : هي الثياب البيض .

(٣) الربلات : باطن الأفخاذ .

(٤) البُرى : جمعُ بُرَة ، وهي حلقة الفضة ، والمقصود بها الخلاخيل .

خلـــيليّ لا والله مــا قلــتُ مرحبًــا	لأول شـــيباتٍ طلعـــن ولا أهـــلا
خلـــيليّ إن الشـــيب داءٌ كرهتُـــه	فما أحسنَ المرعى وما أقبحَ المحلا

وقال (ونُسبت لمحمود الوراق ، وهي مسندة عن الشعبي) :

أرى أُنَاسًـــا بـــأَدْنَى الـــدِّينِ قَـــدْ قَنعُـــوا

وَلَا أَرَاهُـــم رَضـــوا فِي الْعَـــيْش بالـــدونِ

فاســتغْنِ بالــدِّينِ عَــنْ دُنيــا المُلُــوك كَــمَا

اسْــتغنى المُلــوكُ بــدنياهم عَــنِ الــدينِ

وقال :

إني بُـــــليتُ بـــــمعشرٍ	نَـــوْكَى أخفُّهـــم ثقيـــلُ
بُلْـــــهٌ إذا جالســـــتَهمْ	صَـدِئَتْ لقُــرْبِهِمُ العقــولُ
لا يُفْهِمـــــوني قولَـــــهمْ	ويــدقّ عــنهم مــا أقــولُ
فهـــمُ كثـــيرٌ بي كـــما	أنّي بقـــــربهمُ قليـــــلُ

***

[٥] سليمان بن قَتَّة التيمي مولاهم البصري : تابعي ثقة . وَثَّقَهُ ابن معِين ، كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، وفي تعجيل المنفعة لابن حجر ، وصحح له الحاكم .

قال عنه البخاري في التاريخ الكبير : «سَمِع ابْن عَبّاس، وعَمرو بْن العاص، ومُعاوية ... شاعرٌ فارسٌ» .

وهو من المقرئين ، قال عنه ابن الجزري في (غاية النهاية في طبقات القراء) : «سليمان بن قتة : بفتح القاف ومثناة من فوق مشددة ، وقتة أمه ، التيمي مولاهم ، البصري، ثقة ، عرض على ابن عباس ثلاث عرضات، وعرض عليه عاصم الجحدري» .

---

(١) الخدل : امتلاء اللحم مع دقة العظم ، والمقصود أن سيقانهن ملتفّة باللحم .

وقال عنه ابن قتيبة في (المعارف) : « وكان مع روايته للحديث شاعرا ».

وقال أيضًا في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) : « فقد رأينا بعض من ألّف فى هذا الفنّ كتابا ، يذكر في الشعراء من لا يُعرف بالشعر ، ولم يقل منه إلّا الشّذّ اليسير، كابن شبرمة القاضى ، وسليمان بن قتة التّيميّ المحدّث . ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء في الشعر، لذكرنا أكثر الناس، لأنّه قلّ أحد له أدنى مُسكة من أدب ، وله أدنى حظّ من طبع، إلّا وقد قال من الشعر شيئا» .

ووصفه ابن حبان في كتاب (الثقات) بأنه كان شاعرا .

وقال ابن خَلَفون في (الثقات) : «كان شاعرا محسنا

وهو القائل :

وقد يحرم الله الفتى وهو عاقلٌ ويعطي الفتى مالا وليس له عقل»

وله أشعار عديدة في آل البيت ، جمع بعضها الأستاذ الطيب العشّاش في كتابه (ديوان أشعار التشيّع) ، طبع دار الغرب ، سنة ١٩٩٧م .

ومن شعره في رثاء الحسين بن علي رضي الله عنهما (وهي من مختارات أبي تمام في الحماسة) :

مررت على أبيات آل محمدٍ فلم أرها أمثالَها يوم حُلّتِ
فلا يُبعدِ الله الديارَ وأهلَها وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
فجالت على عيني سكائبُ عبرةٍ فلم تَصْحُ بعد الدمع حتى ارْمَعَلّتِ[1]
تُبَكِّي على آل النبي محمدٍ وما أكثرت في الدمع ، لا بل أقلّتِ

---

(١) ارْمَعَلَّت : أي ابتلّت بالدموع ، والمعنى : أن عينه دائمة التسكاب ، لا تنتهي من دمعها حتى تتبعها بالعبرات .

أولئك قومٌ لم يَشيموا سيوفَهم — وقد نَكأت أعداءهم حين سُلّتِ

وكانوا غياثًا ثم صاروا رزيةً — لقد عَظُمت تلك الرزايا وجلَّتِ

وإن قتيلَ الطّفِّ من آل هاشمٍ — أذلَّ رقابًا من قريشٍ فذلّتِ[1]

ألم تر أن الشمس أضحت مريضةً — لفقْدِ حسينٍ والبلادُ اقْشَعَرّتِ

وقد أعولت تبكي السماءُ لفقده — وأنجمُها ناحت عليه وصلّتِ

حبيبُ رسول الله لم يك فاحشا — أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت

أتسألنا قيسٌ فنعطي فقيرها — وتقتلنا قيسٌ إذا النعل زلت

وعند غَنِيٍّ[2] قطرةٌ من دمائنا — سنطلبها يوما بها حيث حلّتِ

وتمثّل مصعب بن الزبير يوم قُتل بقول سليمان بن قتة :

فإنّ الأُلَى بالطّفّ من آل هاشمٍ — تآسَوْا فسَنُّوا للكِرامِ التّآسيا

فقال من سمع مصعبا يتمثل به : فعلمت أنه سيقاتل حتى يموت .

وهو القائل يمدح قُثَم بن العباس :

---

(١) يريد بقوله: أذل رقابا، أي ذللها، يعني أن بني أمية لن يهابوا قتل قرشي بعد الحسين (رضي الله عنه).

وفي شرح التبريزي للحماسة : «وَكَانَ سُلَيْمَان قَالَ:

أذلت رقابا من قُرَيْش فذلت

فَقَالَ عبد الله بن الحسن :

أذلت رِقَاب المسلمين فذلت

فَقَالَ ابْن قَتَّة : أَنْت وَالله أشعر مني .

وَالمْعْنَى : أَن من قُتلوا بالطف من آل هَاشم صيّروا المسلمين أذلاء» .

(٢) إشارة عبد الله بن عقبة الغنوي أحد من قاتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهو قاتل أبي بكر بن الحسين .

نجـوتِ مــن حِــلٍّ وَمــن رحلــةٍ يَــا نــاقُ إِن قرّبتِنــي مــن قُــثَمْ
إِنَّـــك إِن بَلَّـغْـتِنِــــيهِ غَـــدًا عَــاشَ لنــا الْــيُسْر وَمَــات الْعَــدَمْ
فِي بَاعـــه طـــولٌ وَفِي وَجهـــه نـــورٌ وَفِي الْعِـــرْنِين مِنْــهُ شَــمَمْ
لم يــدر مَــا (لَا) ، و(بــلى) قــد دَرَىٰ فعافهــا واعتــاض مِنْهَــا (نعــمْ)
أَصَــمَّ عَــن ذِكْــرِ الخنــا سَــمعَه وَمَــا عَــنِ الخــيرِ بِــهِ مِــنْ صَــمَمْ

***

[٦] مُرَقَّع بن صَيْفِي الحَنْظَلِي التَّمِيمِي : من رجال أبي داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، وهو ثقة .

قال عنه ابن حبان في الثقات : «وكان شَاعِرًا » .

***

[٧] أبو حرب بن أبي الأسود الدِّيَلي البصري (ت١٠٨هـ) : من رجال صحيح مسلم والسنن الأربعة . وهو ثقة .

قال بن قتيبة : «كان أبو حرب شاعرا عاقلا» .

وقال البلاذري في أنساب الأشراف : « أما أبو حرب فكان عاقلا شاعرا صاحب قرآن» .

***

[٨] خالد بن المهاجر ابن سيف اللهَّ خالد بن الْوَلِيدِ المخزومي الحجازي : من رجال صحيح مسلم ، وهو ثقة .

ترجم له أبو الفرج الأصبهاني ؛ لأنه غُني له بشعر .

قال الزبير بن بكار : « كان شاعرا ، وهو الذي يَقُولُ فِي قتل الحسين بْن عَلِيّ رضي اللهَّ عنهما:

أبنـــي أميـــة هـــل علمـــتم أننـــي   أحصـيت مـا بـالطفِّ مـن قـبر
صـــب الإلـــه علـــيكمُ غضـــبا   أبنـــاءَ جـــيش الفـــتح أو بـــدر»

وهو القائل :

ألا ليتنـــي إن أُســـتحلت محـــارمٌ   بمكـــة قامـــت قبـــل ذاك قيـــامتي
وإن قُتل العُـــوّاذُ بالبيت أصبحت   تُنـادي علـى قـبرٍ مـن الهـام هـامتي
وإن يَقْـــتُلوا فيهـــا ، وإن كنـــتُ محـــرمًا   (وجـــدِّك) أَشْـــدُدْ فـــوق رأسي عمامـــتي
بنـــو عصـــبةٍ لله بالـــدين قَوّمـــوا   عصا الدين والإسلام حتى استـقامتِ

وهو الذي يقول حين أجمع القتالَ مع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما :

تقول ابنة العمري هل أنت مُشْئِمٌ   مع القوم ؟ أم أنت العشية مُعْرِقُ؟
فقلـت لهـا : مـروانُ همِّـي لقـاؤه   بجـــيشٍ عليـــه عـــارضٌ متألِّـــقُ
يقـــودهمُ ســـمحُ الســـجية باســـقٌ   يَـــسُرُّ ، وأحيانًـــا يُســـاء فَيُحْنِـــقُ
أخـــو نَجَـــداتٍ مـــا يـــزال مقـــاتلا   عـن الـدين حتى جِلْـدُه مُتَخَـرِّقُ

وقال وهو في سجن معاوية رضي الله عنه :

إِمَّـــا خطـــاي تقاربـــت   مَـشْيَ المقَـيَّد فِي الحصـارِ
فِـــيمَا أُمَـــشِّي فِي الأبـــا   طِـح يقتفـي أثـري إِزَارِي
دع ذَا وَلَكِـــن هَـــل تـــرى   نَـــارًا تُشَـــبُّ بِـــذِي مُـــرار
مَـــا إن تُشـــب لقُـــرَّةٍ   بالمصـــطلين وَلَا قتـــار
مَـا بَـالُ ليلـك لَـيْسَ يَنْـــ   ـــقُصُ طولَـه طـولُ النَّهَـار
أتقـــاصُرُ الْأَزْمَـــان أم   غَـرَضُ الْأَسـير مـن الإسـار

وهو القائل :

يـا صـاح يـا ذا الضـامر العَـنْسِ ... والرحـلِ ذي الأقتـاد والحِلْـسِ[1]

سَيْـرَ النهـار ، ولسـتَ تاركَـه ... وتَـجُدُّ سـيرًا كلـما تُـمسي

***

[٩] يزيد بن عبيد أبو وجزة السعدي المدني الشاعر (ت١٣٠هـ): وهو من رجال أبي داود والنسائي وابن حبان، ووثقه ابن معين، ووصفه أبو حاتم الرازي بأنه صاحب قرآن، يعني أنه من قُراء القرآن، ولذلك ترجم له ابن الجزري في طبقات القراء .

قال بن سعد : «كان ثقة قليل الحديث شاعرا عالما» .

وقال ابن قتيبة في المعارف : « وكان شاعرا مجيدا، كثيرَ الشعر، ولا يُعلم فيمن حُمل عنه الحديثُ مثلُه في الشعر» .

وقد جمع شعره وليد السراقبي ، ونشره في مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة ، سنة ١٩٧٤م . ، ثم نشرته وزارة الثقافة السورية ، ثم نُشر في المجمع الثقافي في أبو ظبي .

وحقق الدكتور حاتم الضامن نص قصيدته الحائية التي أوردها له ابن ميمون في منتهى الطلب من أشعار العرب ، وطبعها ضمن كتابه (قصائد نادرة) .

وهي قصيدته التي يقول في مطلعها :

ألمْ تعجبـا للجاريـاتِ البـوارِحِ ... جـرتْ ثـمَّ قفَّتهـا جـدودُ السَّـوانِحِ

(١) قال ابن جني : « هذا عندنا محمول على معناه دون لفظه. وإنما أراد: يا ذا العنس الضامر ، والرحل "ذى الاقتاد" فحمله على معناه، دون لفظه» . والعنس : هي الناقة الضامرة الصُّلبة .

تخبِّرنــــا أنَّ العشــــيرةَ جـــــامعٌ بهـا عَقـرُ دارٍ بعـدَ نـأيٍ مضـارِحِ[1]

فقلتُ وهشَّ القلبُ للطَّيرِ إذْ جرتْ عســى اللهُ إنَّ اللهَ جـمُّ الفـواتِحِ

قال المرزباني : «وأحسن ماقيل في صفة امرأة عجزاء خميصة قولُ الأعشى :

صِفْرُ الوشاحين مِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ[2] إذا تـأَتَّى يكـادُ الـخصر يَنْخَـزِلُ

وأحسن من هذا قولُ أبي وجزة السعدي:

أدمــاءُ في وضـحٍ يكـادُ رداؤهـا يُقـوي ويصنعُ ما أحـبَّ إزارها[3]»

وهو أحد من شَبَّب بعجوز، فأحسن أيما إحسان ، حيث قال في مقدمة قصيدة يمدح فيها وَلَدَ الزّبير ابن العوّام (وقد فاتت السراقبي في جمعه لشعره) :

يـا أيّهـا الرّجـل الموكَّـل بالصِّبا فـيم ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من دَدِ[4]

حتّـى مَ أنـت موكّـلٌ بقديمـةٍ أمست تجَـدّدُ كـاليماني الجيّـدِ

شـبّ الجـلالُ جمالهَـا ، ورسـا بهـا عقـلٌ ، وفاضـلةٌ ، وشـيمةُ سـيّد

ضـنّت بنائلهـا عليـك وأنـتما غِـرّانِ في طـرف الشّباب الأغيـدِ

فـالآنَ ترجـو أن تثيبـك نـائلا أيهـاتَ نائلُهـا مكـانَ الفرقـد

ويقول :

وفي عـروةَ العـذريِّ، إن مـتُّ، أسـوةٌ وعمرِو بنِ عجلانَ الذي فتنتْ هـندُ

وبي مثـلُ مـا ماتـا بـه غـيرَ أنّنـي إلى أجـلٍ لم يـأتني وقتُـه بعـدُ

---

(١) المضارح : البعيد .

(٢) البهكنَةُ: المرأة الحسنة الـخَلْق .

(٣) وفي مجموع الديوان : ....ويشبع ما أحب إزارها .

(٤) الدد : هو اللهو واللعب ، فهو يسأل : كيف لابن سبعين عاما أن يلتفت للهو العشق .

هــل الحــب إلا عَــبرةٌ بعــد زفــرةٍ وحَــرٌّ عـلى الأحشـاء لـيس لـه بـرد

وفـيضُ دمـوعِ العـين بالليـل كلـما بـدا عَلَـمٌ مـن أرضـكم لم يكـن يبـــدو

وكان أو وجزة قد شَخَصَ إلى المدينة يريد آل الزبير، وشخص أبو زيد الأسلمي يريد إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (وهو والي المدينة) فاصطحبا . فقال أبو وجزة : هلم فلنشترك فيما نصيبه ، فقال أبو زيد الأسلمي : كلا، أمدح الملوك ، وأنت تمدح السُّوقة !! فلما دخلا المدينة ، صار أبو زيد إلى إبراهيم بن هشام ، فأنشده:

يا ابن هشام يا أخا الكرامِ

فقال إبراهيم: وإنما أنا أخوهم ، وكأني لست منهم ؟!! ثم أمر به ، فضُرب بالسياط . وامتدح أبو وجزة آل الزبير ، فكتبوا إليه بستين وسقًا من تمر، وقالوا: هي لك عندنا في كل سنةٍ ، فانصرفا .

فقال أبو زيد يذم إبراهيم بن هشام :

مــدحتُ عروقًــا للنــدى مصّــت الثــرى
حديثًا ، فلم تَـهْمِمْ بأن تَـتَـزَعْزَعا[١]

---

(١) قال المبرّد في الكامل : «أما قول أبي زيد لإبراهيم:

"مدحت عروقاً للندى مصت الثرى....حديثاً.. "

فإنما عنى أن إبراهيم وأخاه محمدًا إنما تطمعا بالعيش، ودخلا في النعمة، وخرجا من حد السوقة إلى حد الملوك حديثًا، وذلك بهشام بن عبد الملك ؛ لأنهما كانا خاليه، وإنما ولاهما عن خمول.

وقوله: "فلم تهممهم بأن تتزعزعا"، فإنما هذا مَثَلٌ : يُقال: فلان يهتز للندى، ويرتاح لفعل الخير ، كما قال متمم بن نويرة:

تراه كنصل السيف يهتز للندى ... إذا لم تجد عند امرىء السوء مطمعا

نقائــذُ بــؤسٍ[1] ذاقــتِ الفقــرَ والغنــى
وحلّبــتِ الأيّــامَ والــدهرَ أَضْرُعــا[2]

ســقاها ذوو الأرحــام سَـجْلا عــلى الظـما
وقــد كَرِبَــتْ أعناقُهــا أن تقطّعــا

بفضـل سـجالٍ لـو سَـقَوْا مـن مشـى بهـا
عــلى الأرض أرواهــم جميعًــا وأشــبعا

فضــمّت بأيــديها عــلى فضــل مــا بهــا
مــن الــريّ لمــا أَوْشَــكَتْ أن تَضَــلَّعا

وزهّــدها أن تفعــل الخــير في الغنــى
مُقاســاتُها مــن قبلــه الفقــرَ جوّعــا

فقال أبو وجزة في ذلك :

راحــت رواحًــا قلــوصي وهــي حامــدةٌ
آلَ الــزبير ، ولم تعــدل بهــم أحــدا

راحــت بســتين وســقًا في حقيبتهــا[3]
مــا حُــمِّلَتْ حِــمْلَها الأدنــى ولا السَّـدَدا

وتأويل ذلك أنه يتحرك سرور لفعل الخير» .

(١) نقائذ بؤس : استُنقِذوا منه .

(٢) (استحلب أضرع الأيام والدهور واستخرج ما فيها) : هذا التعبير يُطلق في العادة على وجه المدح ، بمعنى أن الممدوح قد اكتسب خبرة وتجربة وحكمة من كثرة تقلب أحوال الحياة به . لكنها هنا جاءت على وجه الذم والتعيير ، فهو يريد أن يُذكّر بأنهم قوم ما عرفوا الغنى والنعمة إلا مؤخرا ، وأنهم قد ذاقوا من ويلات الفقر ومن ذلته ما جعلهم لا يعرفون سجايا أهل الجود والمكارم .

(٣) قال المبرد : «فإنما أراد ما يوجب ستين وسقا، لا أن الناقة حملت ستين وسقًا» . يقصد أنها حملت الوثيقة التي فيها عهدهم له بالعطاء .

مـــا إن رأيـــتُ قلوصًـــا قبلهـــا حَـــمَلَتْ

ســـتين وســـقًا ولا جابـــت[1] بـــه بلـــدا

ذاك القِـــرَى، لا قِـــرَى قـــومٍ رأيـــتُهمُ

يُقْـــرُون ضَـــيفَهمُ الملويَّـــةَ الـــجُدَدا[2]

***

[١٠] عروة بن أُذينة الليثي الكناني المدني (ت١٣٠هـ) : من شيوخ الإمام مالك في الموطأ . فهو ثقة ، ويكفيه رواية مالك عنه في الموطأ .

وهو بالحديث والرواية ليس بأقل من وصفه بالفقه ، فرواية الإمام مالك عنه ، وعدم نقل فتوى له في الفقه ؛ إلا استفتاء له موجَّهٍ منه إلى ابن عمر رضي الله عنهما = تجعله بالمحدّثين أولى منه بالفقهاء ؛ فنقلُه الفتوى روايةً لا تُخرجه عن النقل إلى الفقه .

وهو القائل في الحث على رواية السنة ، في قصيدته التي مطلعها :

أعرصـــةُ الـــدارِ أم تَـــوَهُّمُها هاجتْـــكَ أَمْ غُلّـــةٌ تُـــجَمْجِمُها

من حُبِّ سُعدَى شَقَّتْ عليكَ وقد شَـــطّتْ نواهـــا وغـــارَ قَيـــِّمُها

إلى أن يقول في الثناء على تعلُّم السنة :

منـــا النبـــيُّ الأُمِـــيُّ ، ســـنتهُ فاضـــــلةٌ نـــــافعٌ تعلُّمهـــــا

وقد ترجم له ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، وقال عنه : « وكان شريفا ثبتا يحمل عنه الحديث» .

---

(١) جابت : أي قطعت .

(٢) قال المبرّد : «فإنما أراد السياط، وجمع جديدٍ جددٌ» .

وقال في المعارف : « كان مالك بن أنس يروى عنه الفقه . وحدّثنى أبو حاتم ، عن الأصمعيّ ، قال: كان عروة بن أذينة ثقة ثبتا» .

وسئل أبوداود السِّجِسْتاني عنه ، فقال : « مدينيٌّ شاعر» .

وقال ابن عبد البر : « كان شاعرا رقيق الشعر غزلا ، وكان مع ذلك صاحب فقه خيرا عندهم» .

وقال الحُصْري القيرواني : « وكان عروة بن أذينة- على زهده، وورعه، وكثرة علمه وفهمه- رقيقَ الغزل كثيره» .

وقال ابن الجوزي : « وكان شريفا أديبا [ثبتا] يُحمل عنه الحديث» .

وذكره المرزباني في معجم الشعراء (كما في تاريخ دمشق لابن عساكر) وقال عنه: «وهو شاعر مكثر فصيح ، مأمون على ما روى من المسند وغيره» .

له ديوان شعر مجموع ، جمعه الدكتور يحيى الجبوري . طبعته الثالثة كانت سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ، بدار القلم بالكويت .

وبعده : كتب عبد العلي عبد الحميد حامد : عروة بن أذينة شعره وحياته: نشرته: إدارة البحوث الإسلامية والإفتاء والنشر بالجامعة السلفية بنارس، الهند، سنة ١٣٩٦هـ، الطبعة الأولى .

وروى الخرائطي في اعتلال القلوب : «وَقَفَتِ امْرَأَةٌ عَلَى عُرْوَةَ بْنِ أُذَيْنَةَ ، فَقَالَتْ لَهُ: أَنْتَ عُرْوَةُ بْنُ أُذَيْنَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: أَلَسْتَ الْقَائِلَ:

قَالَتْ (وَأَبْثَثْتُهَا وَجْدِي فَبُحْتُ بِهِ): قَدْ كُنْتَ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَتِرِ
أَلَسْتَ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لهَا غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَبْقَىٰ عَلَى بَصَرِي

وَاللهِ مَا خَرَجَ هَذَا الشِّعْرُ مِنْ قَلْبٍ سَلِيمٍ لَمْ يَعْشَقْ» .

وقال يحيى بن عروة بن أذينة قال: «أتى أبي وجماعةٌ من الشعراء هشام بن عبد الملك فأنشدوه ، فنسبهم، فلما عرف أبي قال: ألست القائل:

وقد علمتُ (وما الإِشرافُ من خُلُقي)	أنَّ الـذي هـو رزقـي سـوفَ يـأتيني
أسـعى لـهُ فَيُعَـنِّيني تَطَـلُّبُهُ	ولـو قعـدتُ أتـاني لا يُعنِّيني

فهلا جلست حتى يأتيك؟

فلما خرجوا من عنده ، جلس أبي على راحلته حتى أتى المدينة ، وتنبه هشام عليهم، فأمر بجوائزهم ، فَفَقَدَ أبي ، فسأل عنه، فأُخبر بانصرافه، فقال: لا جرم (والله) ليعلمن أن ذلك سيأتيه في بيته ، ثم أضعف له ما أعطى واحدا من أصحابه ، وكتب له فريضتين ، فكنت أنا آخذهما» .

وَهَذَا هُوَ الشِّعْرُ:

وقد علمتُ (وما الإِشرافُ من خُلُقي)	أنَّ الـذي هـو رزقـي سـوفَ يـأتيني
أسـعى لـهُ فَيُعَـنِّيني تَطَـلُّبُهُ	ولـو قعـدتُ أتـاني لا يُعنِّيني
وأنَّ حـظَّ امـرئٍ غـيري سـيأخذُهُ	لا بُـدَّ لا بُـدَّ أن يحتـازهُ دوني
فلـن أكلِّـفَ نـفسي فـوقَ طاقتهـا	حرصًـا أقيمُ بـهِ في مَعطِنِ الـهُونِ
أَبَيْـتُ ذلـك رأيًـا لسـتُ قارِبَـهُ	ولا مُعَرِّضَـهُ عِـرْضي ولا ديني
من كـانَ من خَدَمِ الدُّنْيا أَشَتَّ بـهِ	حتـى يقـالَ صـحيحٌ مثـلُ مجنـونِ
نعـالج العـيشَ أطـوارًا تَقَلُّبُـهُ	فيـهِ أفـانينُ تُطـوَى عـن أفـانينِ
باليسرِ والعسرِ والأحداثُ مُعْرِضةٌ	لا بـدَّ مـن شـدةٍ فيهـا ومـن لـينِ
حتـى تَـكِلَّ وتَلقَـى في تَطَـرُّدِها	أطبـاقَ مُلْهـىً بهـا حـيرانَ مفتـونِ
ولـو تَـخَـفَّضَ لم يَنْـقُصْ تَخَفُّضُـهُ	مكتوبَ رزقٍ له ما عاشَ مـضمونِ

فـما امـرؤٌ لم يُضِـعْ دينًـا ولا حسـبًا بفضـلِ مـالٍ وَقَـى عِرضًـا بمغبـونِ

كـم مـن فقـيرٍ غنـيِّ الـنفسِ تعرفـهُ ومـن غنـيٍّ فقـيرِ الـنفسِ مسـكينِ

ومن مواخٍ طوى كَشْحًا فقلتُ له : إنَّ انطـواءك هـذا عنـكَ يطـويني

لا تحســبنَّ مُــواخاتي مُــقصِّرةً ولا رضـاكَ وقـد أذنبـتَ يُرضـيني

لا خـيرَ عنـدكَ في غيـبٍ وفي حَضَـرٍ إلاَّ أهاويــلُ مــن خلــطٍ وتلــوينِ

بــأيِّ رأيــكَ في أمــرٍ عُنِيــتُ بــهِ وفضـلِ مالـكَ يومًـا كنـتَ تكفينـي

فليتَ شـعري ! ومـا أدري فـتخبرُني بــأيّ قــرضي مــنَ الأيــامِ تجزينــي

أبالــذي كــانَ منــي مــرةً حســنًا أم بـالقبيحِ ومـا أقبحـتُ ترمينـي

فـما حفظـتَ ومـا أحسنتَ رِعْيَتَـهُ سِرًّا أَمِنْـتَ عليــهِ غــيرَ مــأمونِ

عجـزًا عـن الخـيرِ تلويـهِ وتَــمْطلُهُ بُخْـلًا عـليَّ بـهِ ، والـشرَّ تَـقضيني

مـا كنـتَ ممـن تجـاريني بديهتـهُ ولا مــنَ الأمــدِ الأقصى ـ يغــاليني

مَنَّتْــكَ نفسُــك أمــرًا لا تُوالِفُــهُ حتـى تُوَلِّـفَ بـينَ الضـبِّ والنـونِ

النــونُ يهلــكُ في بيــداءَ مقفــرةٍ والضــبُّ يهلـكُ بـينَ المـاءِ والطـينِ

لا تَغضــبنَّ فــإني غــيرُ مُعْتِبِــهِ مَـن كنـتُ أَوليتُـهُ مـا كـانَ يُولِـيني

وقال

وَلَقَـدْ وَقَفْـتُ عَـلَى الـدِّيَارِ لَعَلَّهَـا بِجَــوَابِ رَجْــعِ تَحِيَّــةٍ تَــتَكَلَّمُ

وَالْعِـيسُ تَسْـجَعُ بِالْـحَنِينِ كَأَنَّهَـا بـين المنـازل حـين تسـجع مـأتم

نزلـوا ثـلاثَ مِنِّـي بِمَنْـزِلِ غِبْطَـةٍ وَهُـمْ عَـلَى عَجَـلٍ لَعَمْـرُك مَـا هُـمُ

مُتَجَــاوِرَيْنِ بِغَــيْرِ دَارِ إِقَامَــةٍ لَـوْ قَـدْ أَجَـدَّ رَحِيلُهُمْ لمْ يَنْـدَمُوا

وَلَــهُنَّ بِالْبَيْــتِ الْعَتِيــقِ لُبَانَــةٌ وَالحِجْــرُ يَعْــرِفُهُنَّ لَــوْ يَــتَكَلَّمُ

لَـوْ كَـان حَيَّـى قـبلَهن ظعائنًـا حيَّـى الحطـيمُ وُجُـوهَهنّ وَزَمْـزَمُ

وروى المرزباني في الموشّح بإسناده إلى عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير، قال: «كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعقيق ، فسمعته ينشد لنفسه الأبيات التى أولها:

إنّ التـى زعمـتْ فـؤادَك ملّهـا ... جُعِلَتْ هواك كما جُعلْتَ هَوًى

قال عروة: فجاءنى أبو السائب المخزومى يوما بالعقيق ، فألفانى فى مجلس بئر عروة، فسلم وجلس إلى، فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة يا أبا السائب؟ قال: وكما تكون لحاجة، أبيات لعروة بن أذينة بلغنى أنك سمعتها منه. قلت: أي أبياته؟ قال: وهل يخفى القمر؟ قوله: إن التي زعمت فؤادك ملّها ، فأنشدته إياها، فقال: ما يروى هذه إلّا أهل المعرفة والعقل، هذا والله الصادق الودّ، الدائم العهد ، لا الهذليّ الذى يقول:

إن كـان أهلُـك يمنعونـكِ رغبـةً ... عنّـي فـأهلي بي أضـنُّ وأرْغَـبُ

لقد عدا الأعرابيُّ طورَه ؛ وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحب الأبيات في حسن الظن بها وطلب العذر لها».

وهي قوله :

إِن الَّتِـى زعمـتْ فُـؤَادَكَ مَلَّـها ... خُلقتْ هَوَاك كَمَا خُلقتَ هَوًى
فِيـك الـذى زعمـتْ بهَـا ، وكلاكـما ... أَبْـدَىٰ لصَـاحبه الصـبابةَ كلَّهـا
ويبيـتُ بـين جـوانحي حـبٌّ لهـا ... لـو كـان تحـت فراشـها لأقلّهـا
ولَـعَمْرُها لـو كـان حبُّـك فوقها ... يومًـا وقـد ضَـحِيت إذن لأظلّهـا
وإذا وجـدتُ لهـا وسـاوسَ سـلوةٍ ... شـفع الفـؤادُ إلى الضـمير فسلّها
بَيْضَـاءُ باكرَهـا النَّعـيمُ فصـاغها ... بلباقـةٍ ، فأَدقَّهـا وأجَلّـها
لمـا عرضـتُ مُسلِّـمًا ، لـيَ حَاجَـةٌ ... أَرْجُـو معونتَهـا وأخشـى ذُلَّـها
حَجَبتْ تَحِيَّتَها ، فَقلت لصاحبى ... مَـا كَـانَ أَكْثَرَهَـا لنـا ، وأقلَّـها

فـــدنا فقـــال : لعلهـــا معـــذورةٌ   من أجل رِقْـبَـتِها ، فقلتُ : لـعلّها

وقال المرزبانى: «وقد أكثر الشعراء فى وصف بقاء الشعر الجيّد على تطاول الأيام، وغابر الزمان؛ ومن أحسن ما جاء فيه قول عروة بن أذينة :

نُــبِّئت أنّ رجـالا خـاف بعضُـهم   شـتمي ومـا كنـتُ للأقـوام شـتّاما
فـإن يكونـوا بَـراءً لا تَطُـفْ بهـمُ   منّــي شَــكاةٌ ولا أُســمِعْهم ذامــا
وإن يحينــوا أَقُــلْ قــولا لــه أثــرٌ   بــاقٍ يُعَنّــى قراطيسًــا وأقلامــا

وقال عروة بن أذينة:

أمـا قَتَـلْتَ ديـارَ الحـيِّ عِرفانـا   يـومَ الكِفافَـةِ بعـدَ الحـيِّ إذ بانـا

إلى أن قال في محبوبته سُعدى :

يصفو لنا العيشُ والدنيا إذا رضيتْ   وقـد تُكَــدَّرُ مـا لم تَـرْضَ دُنيانـا
لـولا الحيـاءُ طلبنـا يـوم ذي بَقَـرٍ   ممـن تَغَـوَّرَ قَصْدَ البيـتِ أظعانـا
بِيضُ السوالفِ يُورِثْنَ القلوبَ جَوًى   لا يســتطيعُ لـهُ الإنسـانُ كتمانـا
قـال العـواذلُ قـد حـاربتَ في فَـنَـنٍ   مـن الصِّبا وشـبابُ الغصـنِ رَيّانـا
ومــن يُطِعْهُــن يَــقْرَعْ سِــنَّهُ نـدمًا   ولا يكــنْ لــه في الخـير أعوانـا

وقال في الزهد :

نُــــراعُ إذا الجنــــائزُ قابلتْنـــا   ويحزنُنــا بكـــاءُ الباكيــاتِ
كروعــةِ ثَلَّــةٍ[1] لِـــمُغار سَــبْعٍ   فلـــما غـــابَ عـــادتْ راتعـــاتِ

***

[١١] إسحاق بن سُويد بن هبيرة العدوي البصري (ت١٣١هـ) : من رجال البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي ، وهو صدوق ، لكنه ناصبي .

---

(١) الثلة (بفتح الثاء) : القطيع من الضأن .

قال عنه ابن حجر : « وكان إسحاق فاضلا له شعر » .

ومن شعره في البراءة من البدع (وليته تبرَّأ من النصب معها) :

بَرِئـتُ مـن الـخـوَارِجِ لستُ مِـنْهُم ... مــن الغَــزّال مِــنْهُم وَابْــن بَــاب[1]

إِذا اعتزلــوا عَــن الْإِسْـلَام جهــلا ... حَيــارَى مُـحْــدَثين مــن الشَّـبَاب

وَمـــن قـــوم إِذا ذكـــرُوا عليًّـــا ... يــردُّون السَّــلَام عــلى السَّــحَاب

وَ مِمَّـــنْ دَان ديـــنَ أبي بِـــلَالٍ[2] ... عصــائبَ يفــترون عــلى الكتــاب

فَكــلٌّ لســتُ مِنْــهُ وَلَــيْسَ منــي ... سيُــفصَلُ بَيْننَــا يَــوْمَ الحْســاب

وَلَكِنِّـــي أحـــب بِكُـــل قلبِـــي ... وَأعلـــم أَن ذَاك مـــن الصَّـــوَاب

رَسُـــولَ الله وَالصـــديقَ حَقًّـــا ... بِــهِ أَرْجُــو غَــدا حُســن الثَّــوَاب

وَحُــبُّ الطّيــب الْفَــارُوقِ عِنْــدِي ... كحــب أخــي الــظما بَــرْدَ الشَّــرَاب

وَعُـــثْمَانَ بـــنِ عَفَّـــانٍ شَـــهِيدٍ ... نقـــيٍّ لم يكـــن دَنِـــسَ الثِّيَـــاب

ولم يذكر عليا (رضي الله عنه) لأنه كان ناصبيا !

ولذلك أشك في البيتين التاليين ، وقد رأيتهما ملحقين بالقصيدة في أحد المصادر[3]، وهما قوله :

---

(١) الغَـزّال : لقب واصل بن عطاء مؤسس مذهب الاعتزال ، وابن باب هو : عمرو بن عبيد بن باب تلميذه .

وسمى المعتزلة خوارج : إما لكونهم من أهل البدع ، فقصد بالخوارج أهل البدع ، وهذا هو تفسير المبرد في الكامل .

وإما قَصَد : أنهم يجيزون الخروج على الحاكم الظالم ، ولا يشترطون كفره ، كما هو معروف من مذهبهم ، فألحقهم بالخوارج لذلك .

(٢) أبو بلال هو مرداس بن أُدَيّة الخارجي .

(٣) هو إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (٢/ ٩٤) ، ومع أنه نسبه للبيان والتبين للجاحظ إلا أني لم

وخـــيرَ النـــاس بعـــدهم عليًّـــا ... بَرِيًّـــا مـــن مقـــال أولى الكِـــذَاب

فحُـــبُّ جمـــيعهم ممـــا أُرَجِّـــي ... بـــه نفعًـــا وفـــوزًا مِـــن عـــذاب

وله في ذم شُرْب النبيذ ردًّا على أبيات للشاعر ذي الرُّمة (وستأتي أبياته) :

أمـا النَّبِيـذُ فقـد يُـزري بِصَـاحِبِهِ ... وَلَا أرى شـاربًا أزرى بِـهِ المَـاءُ

المَـاءُ فِيـه حَيَـاةُ النَّـاس كلِّهـمُ ... وَفِي النَّبِيـذ إِذا عاقرتَـه الـدَّاءُ

كـم مـن حسيبٍ جميـلٍ قـد أضرَّ ... شُرْبُ النَّبِيـذِ وللأعـمال أَسـمَاءُ

يُقَـالُ هَـذَا نبيـذيٌّ يعـاقره ... فِيـهِ عَـن الخَـيْر تَقْصِـيرٌ وإبطـاءُ

فِيهِ (وَإِن قيل مهلا عَن مُصَمِّمه) ... على ركُوب صميم الْإِثْم إغضاءُ

عـابوا عـلى مـن قَـرَا تشـميرَ ... وخُطـةُ العائـب السِّـمِيرِ حمقـاءُ

إِن المنـافِق لَا تصـفوا خليقتـه ... فِيهَـا مَـعَ الهمـزِ إيـماضٌ وإيـماء

عَـدوُّهمْ كـلُّ قـارٍ مُـؤمنٍ ورع ... وهـم لمـن كَـانَ شِرِّيبًـا أخِـلّاء

وَمـن يُسَـوِّي نَبيـذيًّا يُعـاقره ... بقـارىءٍ ؟! وَخيَـارُ النَّـاس قُـرّاءُ

وقد قال هذه الأبيات ردّا على أبياتٍ لذي الرُّمّة ، وقد جمعهما مجلسٌ ، قُدّم فيه النبيذ ، فشرب ذو الرمة ، وامتنع إسحاق أن يشرب النبيذ ، فقال ذو الرمة :

أمـا النبيـذُ فـلا يُـذعرْك شـاربه ... واحفظ ثيابك ممّن يشرب الماءَ

قـومٌ يُـوارون عـما في صـدورهمُ ... حتى إذا استمكنوا كانوا همُ الـداءَ

مشـمّرين إلى أنصـافِ سـوقهمُ ... همُ اللصوصُ وهُمْ يُدعَونَ قُـرَّاءَ

***

أجده فيه ..

[١٢] سابق بن عبد الله البربري الرقي (توفي تقريبا سنة ١٣٥هـ) :

إمام مسجد الرقة وقاضي أهلها : أحد مشاهير الزهاد ، وقع فيه اختلاف ، والراجح عندي أنه ثقة . ترجم له البخاري في التاريخ الكبير وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل برواية الأوزاعي عنه ، وأحسن تراجمه وأجمعها ترجمة ابن عساكر له في تاريخ دمشق .

وقد جمع شعره أ.د/ بدر ضيف ، وهو مطبوع سنة ١٩٨٧م و: ٢٠٠٤م .

وقد أثنى الجاحظ على شاعريته ، فقال في البيان والتبين : « وقالوا: لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان مفرقا في أشعار كثيرة، لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق . ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تَسِر، ولم تجر مجرى النوادر . ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع » .

ويذكر ابن المعتز في طبقات الشعراء في ترجمة محمود الوراق أن شعره أمثال وحكم ، ثم ذكر أنه لا يقْصُر في هذا الفن عن صالح بن عبد القدوس وسابق البربري ، مما يدل على مكانة سابق البربري في الشعر عند أئمة الأدب .

وترجم له المرزباني في معجم الشعراء (كما في تاريخ دمشق لابن عساكر) ، فقال : « سابق البربري : مولى الوليد ، يكنى أبا عبد الله ، ويقال أبو أمية ، أحد الزهاد المشهورين ، وله مع عمر بن عبد العزيز أخبار .

وهو القائل :

وللموت تغذو الوالداتُ سِخالهَا ... كما لخراب الدهر تُبنى المساكنُ

عجبتُ من الدنيا وذَمّي نعيمَها ... وحبي لها في مضمَر القلب باطنُ

وقـولي : أعـذْنيَ ربِّ مـن كـل فتنـةٍ وأكلَـفُ منهـا بالـذي هـو فـاتنُ

وله :

أموالنـا لـذوي المـيراث نجمعهـا ودورنـا لخـراب الـدهر نبنيهـا

والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد علمت أن السـلامة منهـا تـرك مـا فيهـا

وله (ويُنسب لغيره) :

وكائن ترى من صامت لك معجب زيادتـه أو نَقْصُـه في الـتكلُّمِ

وله :

يُخادع ريبَ الدهر عن نفسه الفتى سَفاهًا ، وريب الدهر عنها يخادعه

ويطمـع في سـوفٍ ويَـهْلَكُ دونهـا وكم من حريص أهلكته مطامعه

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز يستنصحه ، فكتب إليه :

بسم الذي أُنزلت من عنده السُّورُ والحمـد لله ، أمـا بعـد يـا عمـرُ

إن كنـتَ تعلـم مـا تـأتي ومـا تـذرُ فكـن علـى حـذرٍ قـد ينفـع الحـذرُ

واصبر على القدر المجلوب وارْضَ به وإن أتـاك بـما لا يشـتهي القـدرُ

فـما صـفا لامـرئٍ عـيشٌ يُـسَرُّ بـه إلا سـيتبع يومًـا صَـفْوَهُ الكـدرُ

وقال :

لا تُظهـرنّ لـذي جهـلٍ معاتبـةً فـربما هُـيِّجَتْ بالـشيءِ أشـياءُ

فالمـاءُ يُـخمِد حـرَّ النـار يطفئهـا ولـيس للجهـل غـير الحلـم إطفـاءُ

تـرى السـفيه لـه عـن كـل مَـحْلمةٍ زيـغٌ ، وفيـه إلى التسـفيه إصـغاءُ

***

لا تُغـرينّ لجوجًـا حـين تزجـره إن اللجـوج لـه في الزجـر إغـراءُ

وأغضِ في حسن عفوٍ عن نوادره فالـحُرّ فيـه عـن الآفـات إغضـاء

***

وكيف يأمن ريبَ الدهر مرتَهَنٌ ... بعدوةِ الدهر ، إن الدهر عدّاء

ألقى على الجيل من عادٍ كلاكلَه ... وقومِ هودٍ فهم هامٌ وأصداءُ

***

جنى الضغائنَ آباءٌ لنا سلفٌ ... فلن تبيد وللآباء أبناءُ

***

موت التقي حياةٌ لا انقطاع لها ... قد مات قومٌ وهم في الناس أحياء

والعلم يشفي إذا اشْتفَّ[1] الجهولُ به ... وبالدواء قديما يُحسم الداء

***

[١٣] عبد الله بن شُبْرمة بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي الفقيه المحدث (ت١٤٤هـ) :

قال العجلي : «كان قاضيا على السواد لأبي جعفر ، عفيفا حازما عاقلا فقيها ، يشبه النساك ، ثقة في الحديث ، شاعرا ، حسن الخلق ، جوادا » .

وقال بن سعد : «كان شاعرا فقيها » .

وقال أبو جعفر الطبري : «كان شاعرا فقيها ورعا» .

وكان ناقدا للشعر ، قيل له : من أشعر الناس ؟ فقال: الفرزدق ، فقيل له : إن أردنا الجاهليين ؟ فقال: وهل كان أجهل منه ؟!

(١)اشتفّ : أي شرب جميع ما في الإناء .

وكان يقول عن نفسه : ما أَعْـرَفَني لجيد الشعر حَيْثُ يقول الحطيئة :

أولئـك قـوم إن بَنَـوْا أحـسنوا البُنـى وإن عاهـدوا أوفَـوْا ، وإن عَقَـدوا شَـدُّوا
وإن كانـت الـنعماء فهـم جَـزَوْا بهـا وإن أنعمـوا لا كـدّروها ولا كَـدّوا
وإن قَـالَ مـولاهم عـلى جُـل حـادث مـن الـدهر : رُدُّوا فضـل أحـلامكم ، رَدُّوا

وابن شبرمة هو القائل :

ومـا شيءٌ بأثقـلَ وهـو خِـفٌّ عـلى الأعنـاق مـن مِـننِ الرجـالِ
فـلا تفـرح بـمالٍ تشـتريه بوجهـك ، إنـه بالوجـه غـالِ

وهو القائل لعبد الله بن علي بن عبدالله بن العباس يرد على كتاب أبي مسلم الخراساني إليه ، الذي يأمره فيه ببيعة ابن أخيه أبي جعفر المنصور :

قُـلْ لأِخِـي مُكـا شَرَةٍ وَضِـغْنٍ سَـعَرْتَ الحـربَ بَـيْنَ بَنِـي أبِيكـا
فَأَوْرَثْـتَ الضَّـغائِنَ مِـنْ بِنَـيِهْم بَنِـي أَبْنـائِهِمْ وَبَنِـي بَنِيكـا
وَلَـوْ طـاوَعْتَني وَقَبِلْـتَ رَأْيِـي لَسِرْتَ لهُمْ بِسِيرَةِ أَوَّليكَا
وَأَقْـرَرْتَ الخِلافَـةَ حَيْـثُ حَلَّـتْ وَلمَ ْتَعْـرِضْ لمِلْـك بَنِـي أَخِيكَـا
كَأَنَّـك قَـدْ أصـابَكَ سَـهْمُ غَـرْبٍ وَغـادَرَكَ الْعُـداةُ وَأَسْـلَمُوكَا

وهو القائل عن الدنيا :

أراهـا وإن كانـت تُـحَبُّ فإنهـا سـحابةُ صـيفٍ عـن قليـل تَـقشَّعُ

وهو القائل لعمرو بن عبيد المعتزلي ، وكان قد كاتبه عمرو يحثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على طريقة المعتزلة :

الأمرُ (يا عَمْرُو) بالمعروفِ مُفتَرضٌ والقـائمون بـه لله أنصـارُ
والتـاركون لـه عجـزًا لهـم عُـذْرٌ واللائمـون لـه يـا عَمْـرُو أشرارُ
الأمـر والنهـي لا بالسـيف تُشـهره عـلى الخليقـة ، إن القتـل إضرار

وقال في تَعَلُّقِه بالطواف :

ليوشك أن يحول الموت بيني — وبين جوار بيتك والطوافِ
فكم من طائف رثٍّ (رغيبًا — رهيبًا) بين منتعِلٍ وحافِ
أتاك الراغبون إليك سعيًا — يسوقون المقلَّدةَ الصوافِ

***

[١٤] مساور بن سوار الوراق الكوفي (توفي بين ١٤٠-١٥٠هـ) ، من رجال مسلم في صحيحه وأبي داود والترمذي .

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : «كان يقول الشعر، وما أرى بحديثه بأسا» ، ووثقه ابن معين ، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام : «وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ» .

وقد ترجم له أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (١٨/ ١٥٣-١٤٩) ووصفه بأنه : «قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته» ، وإنما تَرْجَمَ له لكونه أحدَ من غُنّي بشعرٍ له ، وهو قوله :

إني وهبت لظالمي ظلمي — وغفرتُ ذاك له على علمِ
ما زال يَظلِمُني وأرحمه — حتى رثيتُ له من الظلم

ومما ذكر من شعره قوله يرثي أحد أصحابه وقد مرّ بقبره :

أبا غانمٍ أما ذَراك فواسعٌ — وقبرُك معمور الجوانب محكَمُ
وما ينفع المقبورَ عُمرانُ قبره — إذا كان فيه جسمُه يتهدّمُ

وقال يسخر ممن جعل التديّن وسيلةً للدنيا ، على هيئة الوصية لابنه :

شَمِّر ثيابَك واستعدَّ لقائلٍ — واحكُكْ جبينَك للعُهود[١] بثومِ

(١) (العهود) هي المواثيق والصكوك ، وكتابتها كانت عملا يدرّ رزقًا ، كعمل المحامين اليوم.

إن العهـود صَـفَتْ لكـل مشـمِّرٍ … دَبِـرِ الجبـين[1] مصـفِّرٍ موسـوم

واجعل صحابَك كل حَبْرٍ ناسكٍ … حسـنِ التَّعهُّـدِ للصـلاة صَـؤُوم

مـن ضرْبِ حمـادٍ هنـاك ومِسْـعَرٍ … وسـماكٍ العتكـيِّ وابـن حكـيم

وعليـك بـالغنويّ فـاجلس عنـده … حتـى تصـيب وديعـةً ليتـيمِ

تُغنيـك عـن طلـب البيـوع نسيئةً … وتكـفُّ عنـك لسـانَ كـل غـريم

وإذا دخلـتَ عـلى الربيـع مسـلِّما … فاخْصُـصْ شَـبَابةَ منـك بالتسـليم

وهو القائل مادحًا الإمام أبا حنيفة النعمان (رحمه الله) :

إِذَا مـا القـوم يومـا قايسـونا … بآبـدةٍ مـن الفتـوى ظريفـه

رمينـاهم بمقيـاس صـليبٍ … مصـيبٍ مـن طـراز أبي حنيفـه

إِذَا سـمع الفقيـهُ بهـا وعاهـا … وأثبتهـا بحـبر فِي صـحيفه

وهو القائل :

إن غـاب عنـك ثقيـلُ كـلِّ قبيلـة … ممـن يشـوب حديثَـه بمِـراءِ

فهنـاك طـاب لـك الجلـوسُ وإنـما … طيـبُ الجلـوس بخفَّـةِ الجلسـاء

ومرة قال لرجل مجنون : أَجِزْ هذا البيت :

ومـا الحـب إلا شـعلةٌ قَـدَحَتْ بهـا … عيـونُ المهـا بـاللحظ بـين الجـوانحِ

فقال المجنون :

ونار الهوى تخفى وفي القلب فِعْلُها … كـفعل الذي جـادت به كفٌّ قادحِ

وقال يصف الأَكول (يأكل عن اثنين) :

وعند الجاحظ في البيان والتبيُّن ذكر (القضاء) بدلا من كتابة العهود :

شَمِّر ثيابَك واستعدّ لقائلٍ *** واحكُكْ جبينَك للقضاء بثومِ

(١) (دبر) : أي مقرَّح الجبين ، كعلامة السجود .

خرجنـــا غـــداةً إلى نزهـــةٍ وفينـا زيــادٌ أبــو صعصــعة
فســتةُ رهــطٍ بــه خمســةٌ وخمســةُ رهــطٍ بــه أربعــة

***

[١٥] مِسْعَر بن كِدَام الهلالي (ت١٥٣هـ) : من رجال الجماعة ، وهو ثقة ثبت فاضل .

قال لابنه كدام ينصحه :

إني نَخَلْتُــكَ[١] يــا كِــدامُ مــودتي فاســمع لقــول أبٍ عليــك شــفيقِ
أمــا الــمَزاحة والمــراء فــدعهما خُلُــقانِ لا أرضــاهما لصــديقِ
إني بلـــوتهُما فلـــم أَحْمَـــدْهُما لمجـــاورٍ جاورتُـــه ورفيـــقِ
والجهــلُ يُــزري بــالفتى في قومــه وعروقُــه في النــاس أيُّ عــروقِ

***

[١٦] القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي (ت١٧٥هـ) :

قال عَبد الله بن أحمد بن حنبل ، عَن أبيه : «ثقة ، روى عنه ابن مهدي ، وكان على قضاء الكوفة ، وكان لا يأخذ على القضاء أجرا ، وكان رجلا يعقل ، صاحب شعر ، ونحو، وذكر خيرا» .

و ذكره المرزباني في النحويين واللغوين والأدباء ، وترجم له ياقوت في معجم الأدباء.

وهو القائل : «من لم يرو أشعار المحدَثين لم يَظْرُف» .

---

(١) وتُروى : (نحلتك) بالحاء المهملة ، من النِّحلة ، وهي الهبة والهدية . لكن رواية الخاء المعجمة (نخلتك) أبلغ ، وهي من النخل : وهو التصفية والتنقية .

وهو القائل :

الرِّفــــقُ يبلـــــغُ بـــــالرفيق ولا	ينفــكُّ يُتعــبُ أهلَــه الخُـــرْقُ
والكَــيْسُ أبلــغُ في الأمــور ، ولا	يَبْــرَى - ولـو داويتَـه - الـحُمْقُ
مـــا صِـــحةٌ أبـــدًا بنافعـــةٍ	حتـى يصــحَّ الـدِّينُ والخُلْــقُ

***

[١٧] موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي الحسني (توفي نحو سنة ١٨٠هـ) :

وهو أحد أجدادي رحمة الله عليهم ، يكنى أبا الحسن ، وكان آدم شديد السمرة ، ولذلك يُلقَّب بالجَوْن . وقد وثقه يحيى بن معين ، وقال الإمام أحمد عنه : «رأيت موسى بن عبد الله بن حسن، وكان رجلًا صالحًا، وهو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب»[١].

وذكره المرزباني في معجم الشعراء .

وكان قد أخذه أبو جعفر المنصور بعد اختفائه بالبصرة ، فضربه يقال ألف سوط ، ويقال خمسمائة ، ثم أطلقه ، وقيل : إنه مات في حبس ثانٍ .

ومن شعره :

تَولّـــتْ بهجـــةُ الـــدنيا	فكـــل جديـــدها خَلِـــقُ
وخـــان النـــاسُ كلُّهـــم	فـــما أدري بمـــن أَثِـــقُ
رأيـــتُ معالـــمَ الخـــيرا	تِ سُـدّت دونهـا الطُّـرُق
فـــلا حَسَـــبٌ ولا نَسَـــبٌ	ولا دِيـــنٌ ولا خُلُـــقُ
فلســتُ مصـــدِّقَ الأقـــوا	مِ في قـــولٍ وإن صـــدقوا

(١) العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله (رقم٣٣٣٤) .

وقال أيضا في وصف حال من جعله الخوف دائم الهروب والتخفي ، ويذم حاله مع كون الموت حتما على العباد ، وهو في ذلك يصف حال بعض آل البيت في التخفِّي من الخلفاء العباسيين :

منخرقُ الخفين يشكو الوجا[1] تَنَكَّبُهُ أطرافُ مروٍ حدادِ
شرّده الخوفُ وأزرى به كذاك من يكره حَرَّ الجِلادِ
قد كان في الموت له راحةٌ والموت حتم في رقاب العباد

وقال :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلما تَكَرَّهْتُ منه ، طال عَتْبي على الدهرِ
إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم وليس إلى المخلوق شيءٌ من الأمرِ
تعوّدتُ مسَّ الضرِّ حتى ألفتُه وأسلمني طُولُ العزاءِ إلى الصَّبْرِ
ووسَّعَ صدري للأذى الأُنسُ بالأذى وإن كنتُ أحيانًا يضيق به صدري
وصَيَّرني يأسي من الناس راجيا لسرعة لطف الله من حيث لا أدري

وقال في زوجه (وهي: أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق) ، وقد طلب منها الرحلة إليه من المدينة إلى العراق ، فتأبّت :

لا تتركيني بالعراق فإنها بلاد بها أُسُّ الخيانة والغدرِ
فإني مليءٌ أن أجيء بضرّةٍ مقابلة الأجداد طيّبة النّشر
إذا انتسبت من آل شيبان في الذُّرى ومرّةَ ، لم تحفل بفضل أبي بكر

يقصد أن هذه الضَّرَّة لن ترعى منك كونك من ذرية أبي بكر الصِّدّيق (رضي الله عنه) .

وقال أيضًا يستثير غَيرتَها ، لكي تأتيه :

---

(١) الوجا : هو الحفا ، وهو تشقق أسفل القدمين وتقرّحهما من كثرة المشي .

وإني زعـــيمٌ أن أجـــيءَ بـــضَرّةٍ   فِراسِيّـــــةٍ فَــــرَّاسةٍ للـــــضرائر

تُــكرِّمُ مولاهــا وتُــرضي حليلهــا   وتقطـع مـن أقـصى مناطِ الحنـاجر

***

[١٨] عبد الله بن المبارك المروزي (ت١٨١هـ) : إمام في الحديث والفقه والزهد والجهاد .

أديب وشاعر ، له ديوان شعر .

وقد ترجم له ابن الجراح (ت٢٩٦هـ) في كتابه عن تراجم الشعراء الـمُحْدَثين المسمى بكتاب (الورقة) . وقال في تقدمة ترجمته : « عبد الله بن المبارك : الفقيه ، يكنى أبا عبد الرحمن ، خراساني مروزي ، شاعر ، له الأبيات في الزهد وذم الدنيا ، دون غير هذا الصنف من الشعر ، وكان يأخذ شعره من الأخبار التي يرويها »(١) .

وكان وصفه بالشعر أحد أهم مناقبه التي عدها له سفيان بن عيينة ، لما بلغه موته، فنعاه بقوله : «رحمه الله ، لقد كان فقيها ، عالما ، عابدا ، زاهدا ، سخيا شجاعا ، شاعرا» .

وهو القائل : «لا يُبتلى الرجل بنوع من العلوم ، ما لم يزين علمه بالأدب» .

وقال الحسن بن عيسى : « اجتمع جماعة من أصحاب بن المبارك ، مثل : الفضل بن موسى ، ومخلد بن حسين ، وغيرهما ، فقالوا : تعالوا حتى نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير ، فقالوا : جمع العلم ، والفقه ، والأدب ، والنحو ، واللغة ، والشعر ، والفصاحة ، والزهد ، والورع ، والإنصات ، وقيام الليل ، والعبادة ، والحج ، والغزو ،

---

(١) الورقة لابن الجراح (١٥) .

والفروسية ، والشجاعة ، والشدة في بدنه ، وترك الكلام فيما لا يعنيه ، وقلة الخلاف على أصحابه» .

وقال العباس بن مصعب : «جمع الحديث والفقه والعربية والشجاعة والتجارة والسخاء والمحبة عند الفراق » .

وله ديوان شعر مجموع ومطبوع ، وجيّد شعره في ميزان الشعر قليل ، فغالبه نموذج من شعر العلماء قليل الرواء .

ومن شعره :

وَمِـــن الـــبَلاءِ وَللَـــبلاءِ عَلاَمَـــةٌ	أنْ لا يُـرَى لـك عـنْ هـواكَ نـزوعُ
العَبـدُ عَبـدُ الـنَفسِ فِي شَـهَوَاتِها	والحـــرُّ يشـــبعُ مـــرةً ويجـــوعُ

وقال في وصف أهل العبادة :

إذَا مَـــا الَّليـــلُ أظلَـــمَ كَابَـــدُوه	فيُســـفرُ عـــنهمُ وهـــمُ ركـــوعُ
أطَـــارَ الخَـــوفُ نـــومَهُم فَقَـــامُوا	وَأهـــلُ الأمـــنِ فِي الـــدُنَيا هُجُـــوعُ
لهُـم تحَـتَ الظَّـلامِ وَهُـمْ سُـجُودٌ	أنِـــينٌ مِنـــهُ تَنفَـــرجُ الضُّلُـــوعُ
وَخُـرسٌ بالنَّهـارِ لِطُـولِ صـمتٍ	علـــيهِم مـــنْ ســـكينتهمْ خشـــوعُ

واشترى عبدالله بن المبارك جارية فأحبها، فحجّ ، فكتب اليها:

هبّـت الـريحُ مـن الشَّـــرْ	قِ فجـــاءتني بريحـــكْ
فتنشـــقَّتُ نســـيمَ الـــ	ـعيش مـن طيـب نُفُوحـكْ
فتوهمّتُـــــك حتـــــى	خِلْتُني بين كُـشوحكْ
كيـــف أنســـاكِ وروحـــي	صُـنعت مـن جـنس روحـكْ

وهي أبيات رقيقة جدا ، لا يقولها إلا عاشق .

***

[١٩] عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي العمري ، الشهير بالعُمَري العابد ، لشدة تعبّده وتزهّده ، وقيل له (البدوي) ، لِتَبَدِّيهِ في أطراف القُرى اعتزالا وتفرغًا للعبادة ، (ت١٨٤هـ) . وثقه النسائي وغيره .

وذكره المرزباني في معجم الشعراء ، وأرد له بيتين من الشعر ، كما في إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي .

وهو القائل :

لله درُّ ذوي العقولِ والحرصِ في طلب الفُضولِ
سُلّابِ أكسيةِ الأرامل واليتامى والكهولِ
والجامعين المكثرين من الجباية والغُلولِ
وضعوا عقولهمُ من الدنيا بمدرجة السيول
ولَـهَوْا بأطراف الفروع وأغفلوا عِلْمَ الأصول
وتَـتَبَّعُوا جَمْعَ الحطام وفارقوا أثرَ الرسول
ولقد رأوا غِيلانَ ريبِ الدهر غُولًا بعد غُولِ

وعبد الله بن عبد العزيز العمري هذا هو صاحب البيتين المشهورين ، واللذين سمعتهما من جماعةٍ من الكُتبيين ، منهم الشيخ زهير الشاويش (وهو من شيوخي بالإجازة) ، صاحب المكتب الإسلامي ، وهما :

ومـا مـن كاتـبٍ إلا سـتَبْقَى كِتابتُـه وإن بلِيَـتْ يـدَاهُ
فـلا تنسَـخْ بخطِّـك غـيرَ علـمٍ يَسُرُّك في العواقبِ أن تَرَاهُ

وكان الشيخ زهير الشاويش يغيّرُ في البيت الثاني إذا أنشدهما ، كما سمعته، فيقول :

فــلا تطبــع بـــدارك غـــيرَ علـــمٍ يسُرُّك في القيامة أن ترَاهُ

***

[٢٠] عبد الله بن إدريس بن يزيد الأَوْدي الكوفي (ت١٩٢هـ) : من رجال الجماعة ، وهو ثقة فقيه عابد .

قال الدوري في التاريخ عن يحيى بن معين: « سَمِعت يحيى يَقُول ، وأنشدنا هَذَا الشّعْر :

وَمَـا ليَ مـن عبـدٍ وَلَا مـن وليـدةٍ وَإِنِّي لفـي فضـلٍ مـن الله وَاسـعِ
بِنِعْمَــة رَبِّي مَــا أُرِيــد معيشــةً سوى قصدِ حَالٍ من معيشــة قَانِعِ
وَمن يجْعَلِ الرَّحْمنُ فِي قلبه الرِّضَا يَعش فِي غنى من طيِّبِ الْعَيْش وَاسعِ
إِذا كَـانَ دِينـي لَـيْسَ فِيـهِ غميـزةٌ وَلم أشْره فِي بعـض تِلْـكَ المطـامع
وَلم أبتـعِ الـدُّنْيَا بـدينٍ أبيعُـه وبـائعُ دِيـنِ الله مِـن شَرِّ بَـائِع
وَلم تَشْـتملني مُرديـاتٌ مـن وَلم أتخشَّـعْ لامـرىءٍ ذِي بضـائع
جَمـوعٍ لـشرِّ المَـال مـن غـير حِلّـه ضـنينٍ بقـول الحْـق للـزور راتـعِ

قَالَ يحيى بن معِين : كنت أَظن أَن هَذَا الشّعْر قَالَه العمريّ العابد ، حَتَّى قَالَ لي ابن العمريّ العابد : هَذَا قَالَه عبد الله بن إِدْرِيس» .

***

[٢١] كثير بن كثير بن المطلب بن أَبي وداعة القرشي السهمي المكي : وهو من رجال البخاري وأبي داود والنسائي ، ووثقه ابن معين وغيره . وأبوه هو الذي زوّجه سعيد بن المسيب بابنته ، بعد أن ردَّ سعيدٌ خِطبتها من عبد الملك بن مروان لابنه الوليد .

قَال محمد بن سعد عنه: «كان شاعرا » .

ووصفه مصعب بن عبد الله الزبيري بـ(الشاعر) .

وذكره المرزباني في معجم الشعراء .

وهو القائل (وهو من الشعر المغنى) وهو من أبيات الندب وغنائه :

أســـــعديني بدمعـــــةٍ أسرابِ	مـــن دمـــوعٍ كثـيرة التَّســكابِ
إن أهـل الحِصـاب قـد تركـوني	مُوْلَعًـا مُوْلَـهًـا بأهـل الحصـابِ
أهـــلُ بيـــتٍ تتـــابعوا للمنايـــا	مـا عـلى المـوت بعـدهم مـن عتـاب
فـــارقوني وقـــد علمـــت يقينًـــا	مـــا لمـــن ذاق ميتـــةً مـــن إيـــاب
كم بذاك الحجون من حيٍّ صدقٍ	وكهـــولٍ أعفـــةٍ وشـــباب
سـكنوا الجـزع جـزع بيـت أبي مـو	سَىٰ إلى النخل من صَفِيِّ الشـباب
فـلـيَ الويـلُ بعـدهم وعلـيهم	صرت فـردًا وملَّنـي أصـحابي

هو القائل في إنكار شتم آل البيت على المنابر في زمن بني أمية :

لعـــن الله مـــن يســـبّ عليّـــا	وحُســـينًا مـــن سُـــوقةٍ وإمـــامِ
أيُسَـــبّ المطيَّبـــون جُـــدودًا	والكـــرامُ الأخـــوال والأعـــمام
يَـــأْمَنُ الظَّبْـــيُ وَالحَـــمامُ وَلَا	يَـأْمَنُ أَهْـلُ النَّبِـيِّ عِنْـدَ المَقـامِ
طِبْـتَ بَيْتًـا وَطَـابَ أَهْلُـكَ أَهْـلًا	أَهْـــلَ بَيْـــتِ النَّبِـــيِّ وَالْإِسْـــلَامِ
رَحْمَـــةُ الله وَالسَّـــلَامُ عَلَـــيْكُمْ	كُلَّـــمَا قَـــامَ قَـــائِمٌ بِسَـــلَامِ

وهو القائل في حب آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

إِنَّ امْـــرَأً كانَـــتْ مَسَـــاوِيهِ	حُـــبُّ النَّبِـــيِّ لَغَـــيْرُ ذِي ذَنْـــبِ
وَبَنِـــي أَبِي حَسَـــنٍ وَوَالِـــدِهِمْ	مَـنْ طَـابَ فِي الْأَرْحَـامِ وَالصُّـلْبِ
وَيَـــرَوْنَ ذَنْبًـــا أَنْ أُحِـــبَّكُمُ	بَـــلْ حُـــبُّكُمْ كَفَّـــارَةُ الـــذَّنْبِ

***

[٢٢] محمد بن زياد الفُقَيمي ويقال البُرْجُمي (وبنو فُقَيم والبراجم كلاهما من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، ولكن بني فقيم من بني مالك بن حنظلة بن مالك والبراجم ليسوا من بني مالك بن حنظلة ، غير أن العرب ربما نسبت لابن العم للقُرْب أو الحلف) .

وقد فرق أبو حاتم الرازي بين أبي زياد الفقيمي و محمد بن زياد البرجمي :

فقال ابن أبي حاتم عن الأول :«أبو زياد الفقيمى روى عن أبى حريز روى عنه أحمد بن عبد الله بن يونس سمعت أبي يقول ذلك.

وسألته عنه فقال، شيخ لا بأس به» .

وقد جاء في ترجمة شيخه أبي حريز عبد الله بن الحسين الأزدي عند أبي حاتم ما يفيد في اسمه ، حيث قال ابن أبي حاتم في تعداده للرواة عن أبي حريز ، نقلا عن أبيه أبي حاتم : « وأبو زياد بن حزابة الفقيمي» .

وقال ابن أبي حاتم عن الثاني : « محمد بن زياد البرجمى سمع من ثابت البنانى روى عنه شيبان ابن فروخ سمعت أبي يقول ذلك وسألته عنه فقال هو مجهول».

في حين ذكره ابن حبان في ثقات أتباع التابعين .

وهذا الثاني من رجل مسند الإمام أحمد(١) .

---

(١) قال الإمام أحمد (رقم١٢٥٩٣) : «حدثنا يونس، حدثنا محمد بن زياد البرجمي، قال: سمعت ثابتا البناني يحدث، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، اتقى الله ، وأقام عليهن، كان معي في الجنة هكذا ، وأشار بأصابعه الأربع» .

وجاء ما يبين اسم هذا الراوي ، وهو ما أخرجه ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف :

ومحمد بن زياد البرجمي هذا الذي يروي عن ثابت البناني : ترجم له البخاري في التاريخ الكبير ، وابن حبان في الثقات ، مع ترجمة ابن أبي حاتم له .

وقد ترجم له الحافظ ابن حجر في كتابه (تعجيل المنفعة) و(لسان الميزان) ؛ لأنه على شرطهما:

فقال في التعجيل : « مُحَمَّد بن زِيَاد البرجمي : عَن ثَابت الْبنانيّ عَن أنس بِحَدِيث من كَانَ لَهُ ثَلَاث بَنَات ، وَعنهُ يُونُس بن مُحَمَّد الْمُؤدب وشيبان بن فروخ .

قَالَ أَبُو حَاتِم مَجْهُول .

قلت ذكر البُخَارِيّ علته بِأَن زِيَاد بن خَيْثَمَة تَابعه عَن ثَابت ، وَخَالَفَهُمَا حَمَّاد بن سَلمَة وَهُوَ اثْبتْ النَّاس فِي ثَابت فَرَوَاهُ عَنهُ عَن عَائِشَة رضى الله تَعَالَى عَنْهَا مُنْقَطِعًا» .

وقد خطَّأَ أبو حاتم من هو أجل من البرجمي في روايته هذا الحديث عن ثابت عن أنس ، فقد سأله ابنه في العلل ، فقال : «وسألتُ أَبِي عَنْ حديثٍ رَوَاهُ مُوسَى بنُ خَلَف، وحمَّادُ بنُ زَيْدٍ ، عَنْ ثَابِتٍ ؛ قَالَ حمَّاد بْنُ زَيْدٍ: وأحسَبُهُ عَنْ أَنَسٍ، وَقَالَ مُوسَى: عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ ابْنَتَانِ أَوْ ثَلاثَةٌ ، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ ... الحديثَ؟

قَالَ أَبِي: رَوَاهُ حمَّاد بْنِ سَلَمة ، عَنْ ثَابِتٍ ، عن عائِشَة، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ وَهُوَ أشبهُ بالصَّوَاب. وحمَّاد بْنُ سَلَمة أثبتُ النَّاسِ فِي ثابتٍ وعليِّ بن زيد» .

ووافقه البيهقي في الشعب فقال : « «وروي فيه عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم . والمحفوظ عنه: عن ثابت، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا، وقيل: عنه، عن ثابت، عن أنس أو غيره، وقيل غير ذلك» .

هذا وإن كان الحديث معروفا من حديث أنس من غير هذا الوجه ، من غير حديث ثابت عنه . كما عند البخاري في الأدب المفرد (رقم ٨٩٤) ، ومسلم في صحيحه (رقم ٢٦٣١) .

حيث قال في موطن (رقم٣١٢) : «حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْقُ بْنُ غَنَّامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ حُزَايَةَ الْبُرْجُمِيُّ، وَيُنْسَبُ إِلَى أَبِي زِيَادٍ الْفُقَيْمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو جَرِيرٍ(١) الْأَزْدِيُّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا يَزَالُ يُهْدِي لِعُمَرَ فَخِذَ جَزُورٍ قَالَ: إِلَى أَنْ جَاءَ إِلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ بِخَصْمٍ ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَنَا قَضَاءً فَصْلًا كَمَا تُفْصَلُ الْفَخِذُ مِنْ سَائِرِ الْجَزُورِ، قَالَ عُمَرُ: فَمَا زَالَ يُرَدِّدُهَا عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ عَلَى نَفْسِي فَقَضَى عَلَيْهِ عُمَرُ: ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِيَّايَ وَالْهَدَايَا فَإِنَّهَا مِنَ الرِّشَا» .

ثم قال في موطن آخر (رقم -٤٠٦-٤٠٧) : «حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ الطَّائِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ أَبِي زِيَادٍ الْفُقَيْمِيِّ، عَنْ أَبِي جَرِيرٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُهْدِي لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كُلَّ عَامٍ فَخِذَ جَزُورٍ فَخَاصَمَ إِلَيْهِ رَجُلًا ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اقْضِ بَيْنَنَا قَضَاءً فَصْلًا كَمَا يُفْصَلُ الرِّجْلُ مِنْ سَائِرِ الْجَزُورِ. قَالَ: فَقَضَى عَلَيْهِ عُمَرُ ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ: إِنَّ الْهَدَايَا هِيَ الرِّشَا .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْقُ بْنُ غَنَّامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْفُقَيْمِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو جَرِيرٍ الْأَزْدِيُّ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا يَزَالُ يُهْدِي إِلَى عُمَرَ فَخِذَ جَزُورٍ. فَذَكَرَ نَحْوَهُ وَلَمْ يَقُلْ عَنِ الشَّعْبِيِّ» .

وأخرج ابن عساكر الطريقين الأخيرين في تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٢٠) ، وجاء الاسم في الطريق الثاني هكذا : « محمد بن زياد بن حزابة البرجمي ، وينسب إلى أبي زياد الفقيمي» .

وأثر عمر بن الخطاب هذا أخرجه :

---

(١) كذا تصحف في المطبوع ، فهو أبو حريز بالحاء المهملة وآخره زاي .

- ابن جرير في تهذيب الآثار – مسند علي – ، قال : «حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثام بن علي، قال: حدثنا أبو زياد الفقيمي، عن أبي حريز، أن رجلا، كان أهدى لعمر رجل جزور، ثم جاء يخاصم إليه، فجعل يقول: " يا أمير المؤمنين، افصل بيننا كما تفصل رجل الجزور. قال: فوالله ما زال يكررها علي حتى كدت أن أقضي له» .

- والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٤) من طريق عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا أبو زياد الفقيمي : حدثني أبو حريز .. به .

وينتج من ذلك أن اسم أبي زياد الفقيمي هو محمد بن زياد ، وأنه يقال له (ابن حزابة) أو نحو هذه الصورة من الاسم ، حيث ورد هذا الاسم على وجوه متعددة![1].

بل نتج من ذلك أيضًا أنه هو البرجمي ، فطلق بن غنام تلميذه مرة ينسبه (الفقيمي)، مرة ينسبه (البرجمي) .

وقد حصر الخطيب البغدادي في كتابه (المتفق والمفترق) من سُمي من الرواة بمحمد بن زياد في عشرة أشخاص ، ولم يذكر فيهم إلا بُرجميا واحدا ، قال في تقديمه له: «ومحمد بن زياد البرجمي : حدث عن ثابت البُنَاني وأبي ظلال القَسْملي وأبي غالب حزور، روى عنه شيبان بن فروخ» .

وهذا الذي ترجمه الخطيب هو من كان قد ترجمه ابن أبي حاتم ، فقال عنه أبو حاتم : «مجهول» .

---

(١) ورد : حزابة (بباء) ، وحزاية (بياء آخر الحروف) ، وحنزابة (بزيادة نون قبل الزاي) ، وجرادة ، وجراية ، وجرية !!

فكان يمكن اعتبار أبي زياد الفقيمي الراوي عن أبي حريز هو نفسه محمد بن زياد البرجمي الراوي عن ثابت البناني ، لولا أربعة أمور تُوجب التفريق بينهما :

الأول : أن أبا حاتم فرق بينهما .

الثاني : أن طبقتهما مختلفة :

فمحمد بن زياد البرجمي الفُقيمي أبو زياد من صغار أتباع التابعين : يروي عن إسماعيل بن عمرو البجلي (من كبار أتباع أتباع التابعين) ، والحسن بن عمرو الفقيمي (من كبار أتباع التابعين) ، وأبي حريز عبد الله بن الحسين الأزدي (من كبار أتباع التابعين)، وعبيد الله بن موسى العبسي (من صغار أتباع التابعين) ، وأبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي (من كبار أتباع التابعين) .

ورثى سفيان الثوري (ت١٦١هـ) .

وروى عنه : ، إسماعيل بن زياد الكوفي (من صغار أتباع التابعين) ، وطلق بن غنام (من صغار أتباع التابعين) ، وعباد بن يعقوب الرواجني (من صغار أتباع التابعين) ، وعبد الله (الملقب عبدان) بن عثمان بن جبلة الأهوازي (من صغار أتباع التابعين) ، وعَثّام بن علي الكوفي (من أواسط أتباع التابعين) ، ويحيى بن آدم (من أواسطهم)(١) .

---

(١) ولأبي زياد الفقيمي رواية عند الآجري في الشريعة (رقم ١٦٧٢) : يرويها عنه عباد بن يعقوب الرواجني ، وهو يرويها عن أبي جناب الكلبي .

وهي نفسها عند الرافعي في التدوين (١/ ١٥٩) ، يتابع الرواجني فيها : عَبْد الرحمن بْن دبيس الكوفي.

وروى أيضًا عن الحسن بن عمرو الفقيمي ، وعنه يحيى بن آدم ، كما في أخبار القضاة لوكيع

أما محمد بن زياد البرجمي الآخر (الذي جهله أبو حاتم) : فيروي عن التابعين : عن ثابت البُنَاني ، وأبي ظلال هلال بن أبي هلال القَسْملي ، وأبي غالب حزور .

وروى عنه صغار أتباع التابعين : كشيبان بن فروخ ، ويونس بن محمد المؤدب (من أواسطهم) .

ولذلك ذكره ابن حبان في أباع التابعين ، كما سبق .

الثالث : أن المتأخر المعروف بكنيته ، روى عنه عدد من الثقات ، وفيهم أئمة ، وله مخالطة بالحفاظ ، حتى رثى سفيانَ الثوري وتناقل الأئمة رثاءه ، فيبعد في مثله أن يكون مجهولا . بخلاف الآخر ، الذي لا يُعرف إلا برواية رجلين عنه .

الرابع : أن المتأخر الشاعر كوفي ، كما يظهر من شيوخه وتلامذته ، وكما سيأتي من ترجمة الأدباء له . وأما المتقدم فهو بصري كما يظهر من شيوخه البصريين ، وكما في ترجمته عند ابن حبان ، حيث قال عنه : « روى عَنْهُ البصريون» .

وقد خلط الحافظ ابن حجر بين الترجمتين :

فلما ذكر الإمام الذهبي عددا من الرواة ممن يسمى بمحمد بن زياد في كتابه ميزان الاعتدال ، قال في آخرهم : «ومحُمد بن زياد البرجمي : عن ثابت البناني : مجهولون» .

تعقبه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان بقوله : «ذكره ابن حبان في الثقات فقال : روى عنه البصريون.

وأخرج ابن عَدِي في ترجمة إسماعيل بن عمرو البجلي ، عن عبدان الأهوازي: حدثنا محمد بن زياد البرجمي : حَدَّثَنا إسماعيل بن عمرو ، عن إسماعيل بن زكريا، عَن

(٣/ ٢٠).

الأَعمش عن شقيق، عَن عَبد الله قال: أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم، وَلا نكف شعرا، وَلا ثوبا.

قال عبدان: سألت الفضل بن سعد الأعرج، وَابن إشكاب، عَن مُحَمد بن زياد البرجمي فقالا: هو من ثقات أصحابنا» .

والظاهر أن هذا التوثيق الذي نقله ابن حجر من الكامل لابن عدي ليس في حق محمد بن زياد المتقدم الراوي عن ثابت البناني ، وإنما في حق المتأخر ، كما هو ظاهر من شيوخه وتلامذته ؛ فأين من يروي عن ثابت البناني (المتوفى سنة بضع وعشرين ومائة) ممن يروي عن إسماعيل بن عمرو البجلي (ت٢٢٧هـ) ، وبينهما مائة سنة !

فالظاهر القوي أن الحافظ أخطأ وخلط بين الرجلين اللذين فرق بينهما أبو حاتم الرازي.

وفي سياق هذه الترجمة أنبه إلى أن الراوي المتأخر قد وقع منه خطأ في ر رواية حديث:

وهو ما أخرجه الطبراني في الكبير (رقم١٠٣٧٩) ، قال : «حَدَّثَنَا عَبْدَانُ بْنُ أَحْمَدَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْبُرْجُمِيُّ، ثنا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، ثنا مِسْعَرٌ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: ضَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَزْوَاجِهِ يَبْتَغِي عِنْدَهُنَّ طَعَامًا، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَالَ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا إِلَّا أَنْتَ» ، فَأُهْدِيَتْ إِلَيْهِ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَقَالَ: «هَذِهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ» .

وقال أبو نعيم الأصبهاني عقبه في حلية الأولياء : «غريب من حديث مسعر وزبيد، تفرد به البرجمي، عن عبيد الله» .

ولما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ١٢٩-١٢٨) قال : «والصحيح عن زُبَيْدٍ، قَالَ: أَضَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم . مُرْسَلًا مِنْ قَوْلِ زُبَيْدٍ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدَانَ الْأَهْوَازِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَهْوَازِيُّ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، عن مسعد، عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: أَضَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ وَذَكَرَهُ».

فإذا انتهينا من المصادر الحديثية ، نجد أن محمد بن زياد الفقيمي مترجم في بعض كتب الأدب ، حيث ذكره القفطي في (المحمدون من الشعراء وأشعارهم) ، فقال : « محمد بن زِياد الفُقَيْمي : كوفي، شاعر مذكور في أيام أبي جعفر المنصور؛ ولمّا قدم المنصور الكوفة ، ولم يقسم فيها درهمًا ، قال محمد بن زياد الفقيميّ ، يشير إلى أبي جعفر المنصور:

نزلتَ بأقوامٍ خِماصٍ بطونُهم ... وأنت بَطينٌ والبريَّةُ جُوَّعُ
سوى عُصبةٍ كانوا من الفيءِ مَرَّةً ... فصار لهم ما في البريَّةِ أجمَعُ
تقومُ إذا ما قمتَ تَشْفَعُ خطبةً ... تُشقِّقُ فيها ، والدموعَ تُربِّعُ
كأنك صَيّادٌ تَسيلُ دموعُه ... من القُرّ ، والصيَّادُ يفري ويقطعُ
يَجُذُّ رِقابَ الطيرِ من غير رحمةٍ ... وعيناه من برد العشية تدمعُ
فَأَنت كَذَاكَ الْيَوْمَ يَا شَرّ عَاملٍ ... رَأينَا على أعوادها يَتَخَشّعُ
تزهَّدُ في الدُّنيا وأنت بنهبها ... مُلِحٌّ على الدُّنيا تَكُدُّ وتجمع

وله يهجو شريكًا القاضي:

ولَيْتَ أبا شريكٍ كان حيًّا ... فيُقْصِر حين يُبصِرُهُ شريكْ
ويُقصِرُ مِن تَدَرِّيهِ علينا ... إذا قلنا له: هذا أبوكْ»

هذه ترجمته عند القفطي ، وترجمه بهذه الترجمة نفسها الصفدي في الوافي بالوفيات (٣/ ٨٠) .

ويؤكد أن هذا الشاعر هو صاحبنا : أن ابن أبي حاتم في (تَقْدِمَةِ الجرح والتعديل) وأبا القاسم البغوي في (الجعديات) وابن أبي الدنيا في (الإشراف في منازل الأشراف) وغيرهم أوردوا مرثيةً في الإمام سفيان الثوري ، ونسبوها لأبي زياد الفُقيمي ، مما يشهد لكونه هو الشاعر المذكور .

وهي قصيدته التي يقول فيها عن الإمام سفيان الثوري ، ويُعرّضُ في أولها بأدعياء طلب العلم والمتظاهرين بالتعبّد :

لَقَدْ مَاتَ سُفْيَانٌ حَمِيدًا مُبَرِّزًا ... عَلَى كُلِّ قَارٍ هَجَّنَتْهُ المطَامِعُ

يَلُوذُ بِأَبْوَابِ الملوكِ بِنِيَّةٍ ... مُبَهْرَجَةٍ ، وَالزِّيُّ فِيهِ التَّوَاضُعُ

يُشَمِّرُ عَنْ سَاقَيْهِ ، وَالرَّأْسُ فَوْقَهُ ... قَلَنْسُوَةٌ فِيهَا اللَّصِيصُ المُخَادِعُ

جُعِلْتُمْ فِدَاءً لِلَّذِي صَانَ دِينَهُ ... وَفَرَّ بِهِ حَتَّى حَوَتْهُ المضَاجِعُ

عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ إِلَّا تَنَزُّهًا ... عَنِ النَّاسِ حَتَّى أَدْرَكَتْهُ المصَارِعُ

بَعِيدٌ مِنَ ابْوَابِ الملُوكِ مُجَانِبٌ ... وَإِنْ طَلَبُوهُ لَمْ تَنَلْهُ الْأَصَابِعُ

فَعَيْنِي عَلَى سُفْيَانَ تَبْكِي حَزِينَةً ... شَجَاهَا : طَرِيدٌ نَازِحُ الدَّارِ شَاسِعُ

يُقَلِّبُ طَرْفًا لَا يَرَى عِنْدَ رَأْسِهِ ... قَرِيبًا حَمِيمًا أَوْجَعَتْهُ الْفَوَاجِعُ

فُجِعْنَا بِهِ حَبْرًا فَقِيهًا مُؤَدَّبًا ... ففيه جميعُ الناس قَصْدٌ شرائعُ[1]

عَلَى مِثْلِهِ تَبْكِي الْعُيُونُ لِفَقْدِهِ ... عَلَى وَاصِلِ الْأَرْحَامِ وَالخُلْقُ وَاسِعُ»

---

(١) في المصادر : «بِفِقْهِ جَمِيع النَّاسِ قَصَدَ الشَّرَائِعُ» ، وهي غير مستقيمة ، والمثبت هو الظن فيها .

وفي الإشراف لابن أبي الدنيا ، قال : «حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ بَعْضَ أَشْيَاخِنَا قَالَ: خَرَجَ أَبُو زِيَادٍ الْفُقَيْمِيُّ مِنْ عِنْدِ يَزِيدَ بْنِ جَبَلَةَ ، فَلَقِيَهُ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا زِيَادٍ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ فقَالَ أَبُو زِيَادٍ:

أَتَيْنَا أَبَا خَالِدٍ بِنِطْرَيْنِ ... إِلَى بَيْتِهِ فَخَرَجْنَا صِيَامَا

أَتَانَا بِخُبْزٍ لَهُ يَابِسٍ ... فَقُلْتُ دَعُوا ذَا وَمُوتُوا كِرَامَا

وَأُبْنَا وَوَاللهِ مَا نَسْتَطِيـ ... ـعُ مِنْ جَهْدِنَا أَنْ نُبِينَ الْكَلَامَا»

وفي الشعراء رجلٌ آخر ، إن لم يكن هو محمد بن زياد ، فهو أخوه :

فقد ترجم المرزباني في معجم الشعراء لمن سماه : يحيى بن زياد بن أبي جرادة البرجمي (كذا جاء عنده : جرادة) ، وقال عنه : « الشاعر. يقول لعيسى بن موسى الهاشمي ، وسُقي شربة لما طالبه المنصور بتقديم المهدي عليه في البيعة :

أَفْلَتَّ من شربة الطبيب كما ... أفلت ظبيُ الصريم من قُتَرِه[1]

من قانصٍ يقنص الحياة إذا ... رَكَّبَ سهمَ الحتوف في وتره

دافع عنه المليك قدرته ... صولة ليث يزيد في خُمُرِه»

وأورد ابن جرير الطبري هذه الأبيات في تاريخه ، منسوبة لمن ورد اسمه عنده هكذا: (يحيى بْن زياد بْن أبي حزابة البرجمي أبو زياد) .

وزاد في الأبيات بيتين يذكر فيهما تأثره بذلك السم وتساقط شعره بسببه ، وهما قوله:

حتى أتانا وفيه داخلةٌ ... تُعرف في سمعه وفي بصره

---

(١) كان الصائد يُقتِّرُ للظباء : أي يُدخّن بأوتار الإبل ، لئلا تجد الظباءُ بسبب الدخان رائحةَ الصياد .

أزعــرُ قــد طــار عــن مفارقــه وَحْـفُ أثيـثٍ[1] النبـات مـن شَـعَره

وسماه الصولي في الأوراق في أشعار أولاد الخلفاء (٣٠٩-٣١٠) عند ذكره هذه الأبيات : (يحيى بن زياد بن أبي جراية البرجمي) .

وجاء عند البيت الرابع هكذا :

حتــى أتانــا ونــار شَرْبَــتِه تُعـرَفُ في سَـمْعِه وفي بـصره

وواضح وجه الشبه بين الاسمين ، وفي زمنيهما . فإما أن يكون هو نفسه ، تحرف فيه محمد إلى يحيى ، أو أن يكون أخاه .

ونخلص من هذه الترجمة بالتالي : أن الشاعر هو الراوي المتأخر ، وأنه هو :

محمد بن زياد بن أبي حزابة البرجمي الفقيمي ، أبو زياد ، الكوفي الشاعر . من صغار أتباع التابعين . عاصر أبا جعفر المنصور (ت١٥٨هـ) رجلا ، لعله بين العشرين والثلاثين ، وأُعجب بسفيان الثوري (ت١٦١هـ) ، حتى رثاه بقصيدة تدل على حماس الشباب .

يروي عن إسماعيل بن عمرو البجلي (من كبار أتباع أتباع التابعين) ، والحسن بن عمرو الفقيمي (من كبار أتباع التابعين) ، وأبي حريز عبد الله بن الحسين الأزدي (من كبار أتباع التابعين) ، وعبيد الله بن موسى العبسي (من صغار أتباع التابعين) ، وأبي جناب يحيى بن أبي حية الكلبي (من كبار أتباع التابعين) .

وروى عنه : ، إسماعيل بن زياد الكوفي (من صغار أتباع التابعين) ، وطلق بن غنام (من صغار أتباع التابعين) ، وعَبّاد بن يعقوب الرَّوَاجِني (من صغار أتباع التابعين) ، وعبد

(١) الوحف الشعر الأسود الكثير ، والأثيث : النبات الكثير .

الله (الملقب عبدان) بن عثمان بن جبلة الأهوازي (من صغار أتباع التابعين) ، وعَثّام بن علي الكوفي (من أواسط أتباع التابعين) ، ويحيى بن آدم (من أواسطهم)

قال عنه أبو حاتم : « شيخ لا بأس به» .

وقال عبدان: «سألت الفضل بن سعد الأعرج، وَابن إشكاب، عَن محُمد بن زياد البرجمي فقالا: هو من ثقات أصحابنا» .

ويبدو أنه توفي قريبا من رأس المائتين أو نحوها .

ويبدو من حديثه أنه مع صدقه ، لم يكن ممن يحسن حفظ الأسانيد ، وأنه كان يقع له فيها شيء من خطأ .

فالراجح فيه كما قال أبو حاتم : أنه لا بأس به : في آخر مراتب القبول .

***

[٢٣] محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي ، المعروف بابن كُناسة (ت٢٠٧هـ) ، وقد قارب التسعين : وهو من الثقات عند المحدثين ، من رجال النسائي . وإدخاله في المحدثين محل اجتهاد ؛ لأنه باللغة أشهر . ولكنه أيضا معروف مشهور بالرواية وبالحديث ، ولذلك ذكرته .

قَال يعقوب بن شَيْبَة عنه : «ثقة صالح الحديث ، وهو ابن أخت إبراهيم بن أدهم الزاهد ، وكان له علم بالعربية والشعر وأيام الناس» .

قال ابن قتيبة في المعارف : « وهو صاحب شعر وغريب وحديث وعلم بالنجوم على مذهب العرب ، قد ألف فيها كتابا ، وعلم بأيام الناس» .

وقال ابن الجراح في الورقة : «كوفي شاعر، راوية للكميت وغيره من الشعراء، وكان ظريفًا أديبًا حسن الأشعار» .

وترجم له أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني ؛ لأن بعض شعره قد غُنّي ، فقال في تقديمه له : « وكان امرأً صالحا ، لا يتصدى لمدح ولا لهجاء ، وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر » .

وقال ابن النديم في الفهرست : « لقي رواة الشعراء وفصحاء بني أسد ، مثل جزى وأبي الموصول وأبي صدقة وكل هؤلاء من بني أسد ، وعنهم أخذ شعر الكميت . وكان ابن كناسة بن أخت إبراهيم بن أدهم الزاهد ، وتوفي بالكوفة لثلاث خلون من شوال سنة سبع ومائتين . وكان شاعرا .

وله من الكتب : كتاب الأنواء ، كتاب معاني الشعر ، كتاب سرقات الكميت من القرآن وغيره» .

وترجم له المرزباني في المقتبس في أخبار النحويين واللغويين والشعراء والأدباء.

وترجمه القفطي ، والسيوطي في النحاة .

وهو القائل : وكانت له امرأة يبغضها، فمرّ بمصلوب فقال :

أيا جذعَ مصلوبٍ أتى دون صلبِه ... ثلاثون حولًا كاملًا هل تُبادلُ
وما أنت بالحِمْلِ الذي قد حملتَه ... بأضجر منّي بالذي أنا حاملُ

وهو القائل (وهو الشعر المغنّى له) :

فيّ انقبـــاضٌ وحشـــمةٌ فـــإذا صــادفتُ أهــل الوفــاء والكــرمِ

أرســلتُ نــفسي عــلى ســجيتها وقلــتُ مــا شــئتُ غــيرَ محتشــمِ

وهي الأبيات التي قال عنها الثعالبي في لباب الآداب : « غرة كلامه وزبدة شعره » .

وقال السرقسطي في الدلائل : «حَدَّثَنَا الحسنُ بْنُ مَعْرُوفٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ أَبِي هَفَّانَ، قَالَ: أَنْشَدَنَا ابْنُ كُنَاسَةَ لِنَفْسِهِ فِي النَّخْلِ، وَلَيْسَ لِمُوَلَّدٍ أَطْرَفُ مِنْهَا فِي النَّخْلِ:

أَرَأَيْــتَ كَيْــفَ تَــزَيَّنَ الظَّهْــرُ عَذَوَاتُــــهُ فَبِرَاقُـــهُ الْعُفْـــرُ

فَكَــأَنَّ مَــا نَــشَرَ الرَّبِيــعُ بِــهِ فِيــهِ قُطُــوعُ الــحِيرَةِ الْــخُضْرُ

وَتَــرَى الْفُــرَاتَ عَــلَى جَوَانِبِــهِ فَــرْدًا يَلُــوحُ كَأَنَّــهُ فَجْــرُ»

وفسّر العذوات : بالأرض البعيدة عن مجاري المياه .

وهي من قصيدة زُهدية ، قالها وقد مرَّ على آثار الأوائل ، وجاءت في رواية أنه قال:

الآن حــــين تَــــزيّنَ الظهـــرُ ميثـــــاؤه وبِراقُــــه العُفْـــرُ

بســط الربيــعُ بهــا الريــاضَ كــما بُسـطت قُطـوعُ الحـيرة الخـضرُ

بَرِّيَّـــــةٌ في البحـــــر نابتـــــةٌ يجُبـــى إليهـــا الـــبر والبحـــر

وجــرى الفــراتُ عــلى مياسرهــا وجــرى عــلى أيمانهــا الزَّهْــرُ

وبـــدا الخورنـــقُ في مطالعهـــا فَـــرْدًا يلـــوحُ كأنـــه الفجـــر

كانـــت منـــازلَ للملـــوك ولم يُعلَــم بهـــا لـــمُمَلَّكٍ قـــبرُ

وقال في ظهر الكوفة:

وإنّ بهــا، لــو تعلمــين، أصــائلا ولــيلا رقيقــا مثــلَ حاشــيةِ الــبُرْدِ

وقال في جاريته :

لقــد كــان فيهــا للأمانــة موضــعٌ وللسِّــرِّ كــتمانٌ وللعــين منظــرُ

فقيل له: ما بقي شيء! قال: فأين الموافقة ؟!

وأنشد ابن كناسة :

لا تجزعــي يــا أمّ زيــدٍ فإنّــه ... ستأتي المنايا كلّ حافٍ وذي نعلِ

فلولا الأسى ما بتُّ في النّاس ليلةً ... ولكن إذا ما شئتُ جاوبني مثلي

وقال :

يا واعظ النّاس قد أصبحت متّهما ... إذْ عبتَ منهم أمورًا أنت تأتيها

كمن كسا النّاس من عُرْيٍ ، وعورته ... للنّاس باديةٌ ما إنْ يُوَارِيها

وهو القائل في التواضع :

كُلُّ شَيْءٍ مَلَّحْتَ مِنْ طُعْـــ ... ـــمٍ وَقَزَّحْتَ فَوق ظَهْرِ الخِوَانِ

صَائِرٌ بَعْدَ أَنْ تَلَقّمَهُ لَوْ ... نًا وَلَكِنْ مِنْ أَخْبَثِ الْأَلْوَانِ

فَإِذَا حَانَ وَقْتُ إِخْرَاجِهِ مِنْـ ... ـكَ فَفَكِّرْ فِي ذِلَّةِ الْإِنْسَانِ

وَإِذَا مَا وَضَعْتَهُ فِي مَكَانٍ ... فَالْتَفِتْ وَاعْتَبِرْ بِذَاكَ المُكَانِ

وهي مأخوذة من حديث أُبي بن كعب (رضي الله عنه) الذي رُوي عنه موقوفا ومرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «إن مَطْعَمَ ابن آدم ضُرب للدنيا مثلا : بما خرج من ابن آدم، وإن قَزَّحهُ ومَلَّحهُ، فانظر ما يصير إليه !» .

ومعنى (قزَّحه) : من القَزْحِ وهو التَّتْبيل بالبهارات .

وقال يرثي ابنا له سماه يحيى :

تفاءَلتُ (لو يُغنِي التفاءُل) باسمِهِ ... وما خلتُ فألًا قبلَ ذاك يَفيلُ

فسميته يحيى لِيحيا ولم يكنْ ... إلى قدرِ الرحمنِ فيه سَبيلُ

ويقال إنه رَقَّتْ حالُه في آخرِ عُمره بعد يسارٍ كان له، وإفضالٍ كثير كان منه على الناس، ففي ذلك يقول:

ضعفتُ عن الإخوانِ حتى جفوتهمْ ... على غيرِ زُهدٍ في الإخاءِ ولا الودِّ

ولكــنَّ أيــامي تَـخَــرَّمْنَ مُنَّــتي ... فـما أبلـغُ الحاجـاتِ إلا عـلى جهـدِ

وقال يذكر إبراهيم بن أدهم الزاهد ويمدحه (ويُقال : هو خاله) ، وبدأها مخاطبا نفسه وغيره ممن اشتغل بالدنيا عن الآخرة :

رأيتـك لا يكفيـك مـا دونـه الغنـى ... وقد كان يكفي دونَ ذاك ابنَ أدهما

تخَـلَّى مـنَ الـدنيا وكـان بمنظـرٍ ... ومســتمَعٍ فيهــا أنيــقٍ وأَنْعُــمَا

وكان يرى الدنيا صغيرًا عظيمُها ... وكــان لأمــرِ الله فيهــا مُعظِّمَــا

وللحلم سلطانٌ على الجهل عنده ... فما يستطيع الجهل أن يترمرما

أخــافَ الهــوى حتــى تَــجَنّبَهُ ... كما اجتنبَ الجاني الدمَ الطالبَ الدما

يُشيع الغِنى في النـاسِ إنْ مسَّـه الغنـى ... ويلقى به البأساء عيسى ابن مريما

وأكثـرُ مـا تلقـاهُ في القـومِ صـامتًا ... فــإنْ قــالَ بــذَّ القــائلينَ وأفحـما

يُـرى مسـتكينًا خاضـعًا متواضـعًا ... وليثــا إذا لاقــى الكتيبــةَ ضــيغما

عـلى الجـدث الغـربي مـن آل وائـلٍ ... ســلامٌ وبِــرٌّ مــا أبــرَّ وأكرمــا

وبيت القصيد عندي هو قوله :

أخــافَ الهــوى حتــى تَــجَنّبَهُ ... كما اجتنبَ الجاني الدمَ الطالبَ الدما

فأي سلامة من هوى النفس مثل أن تخشاك نفسُك خشية القاتل من طُلّاب ثأرهم منه ؟!

وقال في الزهد :

ومن عجب الدنيا : تُبَقِّيكَ للبِلى ... وأنــك فيهــا للبقــاء مريــدُ

وأيُّ بنـــي الأيـــام إلا وعنـــده | مـن الـدهر ذنـبٌ طـارفٌ وتليـد
ومـن يـأمن الأيـامَ ؟! أمـا انْبياعُهـا | فَخَطْــرٌ ، وأمـــا فَجْعُهـــا فعتيــد
إذا اعتادتِ النفسُ الرَّضاعَ من الهوى | فــإن فطــامَ الــنفسِ عنــه شــديدُ

وقال ينصح ابنه في اختيار الأصحاب :

يُنْبيـــكَ عـــن عيـــب الفتـــى | تَـــرْكُ الصـــلاة أو الخـــدينُ
فـــــإذا تهـــــاون بالصَّـــــلا | ةِ فـــما لـــه في النـــاس ديـــنُ
ويُــــزَنُّ ذو الحـــدَثِ المريــــ | ـــبُ بـــما يُـــزنُّ بـــه القـــرينُ
إنّ العفيــــف إذا تَكَنَّـــــــ | ـــفَهُ المريـــبُ هـــو الظنـــينُ

وكان يجيء إليه رجل من عشيرته ، فيجالسه ، وكان يكتب الحديث ويتفقه ، ويظهر أدبا ونسكا . وظهر محمد بن كناسة منه على باطن يخالف ظاهره ، فلما جاءه قال له :

مَـا مَـنْ رَوَى أَدَبًـا فَلَـمْ يَعْمَـلْ بِـهِ | وَيَكُـفَّ عَـنْ زَيْـغِ الهَـوَى بِأَدِيـبِ
حَتَّـى يَكُـونَ بِـمَا تَعَلَّـمَ عَـامِلًا | مِـنْ صَـالِحٍ فَيَكُـونَ غَـيْرَ مَعِيـبِ
وَلَقَلَّـــمَا تُغْنِـــي إِصَـــابَةُ قَائِـــلٍ | أَفْعَالُـــهُ أَفْعَـــالُ غَـــيْرِ مُصِـــيبِ

وقال يرثي حماد بن سابور الراوية (وهي من مختارات الحماسة البصرية) :

أَبْعَـدْتَ مـن نومِـك الفـرارَ فـما | جـاوزتَ حتـى انتهـى بـك القـدرُ
لـو كـان يُنجـي مـن الـرَّدَى حـذرٌ | نجّـــاك ممـــا أصـــابك الحـــذرُ
يرحمـــك الله مـــن أخ يـــا أبـــا | القاســـم ، مـــا في صـــفاته كـــدر
فهكـــذا يَفْسُـــدُ الزمـــانُ ويَفْــــ | ـــنَىٰ العلـمُ منـه ويَـدْرُسُ الأثـرُ

وقال اليغموري في نور القبس في حكاية البيت الأول :

«أَبْعَطْـتَ مـن نومِـك الفـرارَ فـما | جـاوزتَ حتـى انتهـى بـك القـدرُ

أبعطت بمعنى أبعدت، أراد: أسرفت في التباعد» .

وقال الوزير المغربي معلقا على قوله :

فهكـــذا يفســـد الزمـــانُ ويفــــ ـــنى العلـمُ منـه ويَـدْرُسُ الأثـرُ

« يرون أن ذلك منظور به قول عبد الله بن العباس ، وقد دَلَّى زيد بن ثابت في قبره: من سَرَّهُ أن يرى كيف ذَهَاب العلم ، فهكذا ذهابه» .

وهو القائل :

تعلمْ فليس المرءُ يُخلَقُ عالِمًا وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلُ

وإنّ كبـير القـوم لا علـمَ عنـده صـغيرٌ إذا ألتفَّتْ عليه المحافلُ

وقال:

ومـا أنـا فـيما أُخرجـتُ داخـلٌ ولا أنـا عـمَّا حيـزَ دوني بسـائلِ

إذا المرءُ يومًا أغلقَ البابَ مُرْتِجًا ليسـتر أمـرًا كنـتُ كالمتغافـلِ

وأُعـرضُ حتـى يحسـبَ المـرءُ أننـيّ جهلتُ الذي يأتي ، ولستُ بجاهلِ

وإني لأُغـضي عـن أمـورٍ كثـيرةٍ وفي دونهـا قطـعُ الحبيـبِ المواصـلِ

حفاظًـا وضَـنًّا بالإخـاء وعقـدةً إذا ضـيَّع الإخـوانُ عَقْـدَ الحبائـلِ

وقال :

أسـدٌ عـلى أعدائـه مـا إن يلـينُ ولا يهـونُ

فـإذا تمكـنَّ مـنهمُ فهنـاكَ أحلـمُ مـا يكـون

وقال :

حسـدوا النعمـةَ لمَّـا ظهـرتْ فرموهـا بأباطيـلِ الكَلِـمْ

وإذا مـا اللهُ أسـدى نعمـةً لم يَضِرْها قولُ حُسَّاد النِّعمْ

وقال :

ومـن قـرأ الكتـاب فأدبتـه مـن الفرقـان آيٌ محكـماتُ

وجالس عِلْيةَ العلماءِ حتى وَعَى مأثورَ قولهمُ ، فماتوا
وطالَبَ سائرَ الآدابِ حتى تُقصِّرُ عن مَبَالِغِهِ الصفاتُ
روى فوعى، وقال فساعدته ينابيعُ الكلامِ المعجِباتُ
فإن يكُ بعدُ مُتّقيًا تكاملْ له المُتَخَيَّراتُ الصالحات
وإلا فهو مأفونٌ شقيٌّ بما سعدت به قبلُ النُّجَاةُ

وقال يصف الفرس :

كالعُقابِ الطَّلوبِ يضربها الـ ـطلُّ وقدْ صَوَّبتْ على عِسبارِ

العسبارُ: ولدُ الضبع من الذئب ، وكانت العرب تصفه بالسرعة الشديدة .

وقال :

ترى خيلهم مربوطة بقبابهم وفي كل قلب من سنابكها وقعُ

فأخذها المتنبي فقال :

قيامُ بأبواب القباب جيادُهُم وأشخاصها في قلب خائفهم تعدو

وقال محمد بن كناسة يذكر أصحاب أبي بكر بن عياش :

لله مشيخةٌ فُجعتُ بهم كانت تزيغ إلى أبي بكر
سُرُجٌ لقومٍ يهتدون بها وفضائلٌ تُنْمى ولا تجري

وقال يصف الكوفة ، وهو كلام مرصوف لا رواء له :

سَفَلتْ عن بردِ أرضٍ حَلَّها البردُ عذابَا
وعلتْ عنْ حرٍّ أُخرى تُلهب النار الِتهابَا
مُزجتْ حرا بِبَرْدٍ فصفا العيشُ وطابَا

وقال أيضا :

كَفَـــى نَطَفًـــا[1] بِـــالمرْءِ يَـــا أُمَّ صَـــالِحٍ
رُكُـــوبُ المعـــاصِي عَامِـــدًا وَاحْتِقَارُهَـــا
وَكَيْـــفَ بِـــنَفْسٍ فِي الـــذُّنُوبِ مُقِيمَـــةٍ
ضَـعِيفٌ عَـلَى مَـسِّ الْعَـذَابِ اصْـطِبَارُهَا
جَنَـتْ مُوجِبَـاتِ النَّـارِ ثُمَّـةَ أَصْـبَحَتْ
تَلَهَّـــى بِـــدُنْيَا قَـــدْ تَـــوَلَّى خِيَارُهَـــا

وقال أبو الفرج الأصبهاني : « أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان إجازة قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني عبيد الله بن يحيى بن فرقد قال سمعت محمد بن كناسة يقول : كنت في طريق الكوفة ، فإذا أنا بجويرية تلعب بالكعاب ، كأنها قضيب بان . فقلت لها : أنت أيضا لو ضعت لقالوا ضاعت جارية ! ولو قالوا : ضاعت ظبية ، كانوا أصدق ! فقالت : ويلي عليك يا شيخ ! وأنت أيضا تتكلم بهذا الكلام ؟! فكسفت والله إلى بالي ، ثم تراجعتُ فقلتُ :

وإني لحلـوٌ مَـخْبَري إن خَبَـرْتِني ... ولكن يُغَطِّيني (ولا ريب بي) شيخُ

فقالت لي – وهي تلعب ، وتبسمت – : فما أصنع بك أنا إذن ؟! فقلت : لا شيء ، وانصرفت» .

ورآه مرةً رجل وهو يحمل بيده بطن شاة ، فقال هاته أحمله عنك ، فقال : لا ، ثم قال:

لا يـنقص الكامـل مـن كمالـه ... مـا جـرَّمن نفـعٍ إلى عيالـه

ولامه بعض أصحابه لما افتقر ، لماذا لا يقصد الأمراء بشعره وأدبه ، فقال :

تُـؤنِّبني أن صُـنتُ عـرضي عصـابةٌ ... لهـا بـين أطنـاب اللئـام بصـيصُ

---

(١) أي : فسادًا .

يقولون لو غَمَّضْتَ لازددتَ رِفعةً فقلــتُ لهــم إني إذن لحــريصُ
أَتَكْلِــمُ وجهــي لا أبــا لأبــيكمُ مطــامعُ عنهــا للكــرام محــيصُ
معاشِي دُوَينَ القُوتِ والعِرْضُ وافرٌ وبطنيَ عن جَدْوَى اللئامِ خميصُ

وقال يرثي جاريته دنانير :

الحمـــــد لله لا شريــــك لــــه يــا ليـت مـا كـان منـك لم يَكُـنِ
إن يكــن القــول قَــلَّ فيــك فــما أفحمنــي غــير شــدة الــحَزَنِ

وإنما ذكرت هذين البيتين لذكرهما جاريته دنانير ، وقد جاء في خبرها ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في ترجمتها في كتابه (الإماء الشواعر) ، حيث قال : «دنانير : جارية محمد بن كُناسة ، مولَّدةٌ من مولَّدات الكوفة ، رباها محمد بن كناسة ، وأدبها ، وخرجت: شاعرة ، أديبة ، فصيحة . وقيل : إنها كانت تغني ، وذلك باطل ؛ كان محمد بن كناسة ، رجلًا زاهدًا ، نبيلًا ، وهو ابن خالة إبراهيم بن أدهم، وليس مثله من يعلم جارية له : الغناء » .

قلت : ما أعجب نقده ، وهو صاحب كتاب (الأغاني) ، الذي ما ترك فيه فاضلة ولا فاضلا إلا ونسب إليه الغناء أو الاستماع إليه والطرب به !

وقال الوزير المغربي في أدب الخواص : « محمد بن كناسة هذا شاعر محسن، وأهل النقد يستحسنون قوله:

على حين أن شابت لِداتي ولم أشب فمنهــا لِــحًى مُبْيَــضَّةٌ و قــرونُ
و ناصيتُ رأس الأربعين و أقبلت قســاوةُ جِنِّــيِّ الشــبابِ تلــينُ»

وأضاف غيره إليهما هذين البتين :

إذا مـــا أراد الله أمــــرًا فــــإنما يقــول لــه: كُــن قولــةً فيكــونُ
يُعَنَّى الفتى بـالأمر مـا لم يكـن لـه مــن الله في الــدنيا عليــه مُعــينُ

***

[٢٤] سعيد بن كثير بن عُفير بن سلم بن يزيد، أبو عثمان الأنصاري، المصري (ت٢٢٦هـ) : من شيوخ البخاري ومسلم في صحيحيهما .

قال عنه الحاكم : «يقال : لم تخُرج مصر أجمعَ للعلوم منه» .

قال عنه ابن يونس : « كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب والأخبار الماضية، وأيام العرب، والتواريخ، وكان في ذلك كله شيئا عجبا، وكان مع ذلك أديبا فصيحا، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تمل مجالسته، ولا ينزف علمه، وكان شاعرا مليح الشعر» .

وله قصائد في الحوادث والمناسبات ، نقل بعضها الكندي في الولاة والقضاة ، ولم أذكرها انتخابا من شعره ، وإنما ذكرتها لأنها هي التي وجدتها من شعره .

فمنه قوله :

لَا يَبْعَدَنَّ ابْنُ هَلَّالٍ فَقَدْ ذَهَبَتْ ... مِنْهُ المَنُونُ بِعِلْمٍ طَيِّبِ النَّسَمِ

لَا يَرْأَمُ الضَّيْمَ مِنْ حُبِّ الحَيَاةِ وَلَا ... يَقْبَلُ دُونَ فِعَالِ الخَيْرِ بِالقِسَمِ

وَلَا يَزَالُ لَهُ مِنْ مجْدِهِ طَرَفٌ ... يَسْنُدُ مَا حَازَ عَنْ آبَائِهِ القُدُمِ

مَا انْفَكَّ يحْمِي ذِمَارَ اسكنْدَرِيَّةَ فِي ... هَدْءٍ حَمِيدٍ وَعِزٍّ غَيْرِ مُهْتَضَمِ

حَتَّى إِذَا جَاءَهُ مَنْ كَانَ يَأْمَنُهُ ... وَصَرّحَ المَوْتُ جَهْرًا غَيْرَ مُكْتَتِمِ

خَاضَ الأَسِنَّةَ واهتدى مُحْتَسِبًا ... حَتَّى تجَرَّعَ كَأْسَ المَوْتِ مِنْ أَمَمِ

وقوله :

أَلَا مَنْ مُبْلِغُ الجَرَوِيِّ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً يُعَاتِبُ أَوْ يَلُومُ

أَقَمْتَ تُنَازِلُ الْأَبطَالَ حَتَّى ... تَمَيَّزَ ذُو الحَفِيظَةِ وَالسَّئُومُ

وَصُلْتَ بِهِمْ فَمَا وَهَنَتْ قُوَاهُمْ ... وَطَيْرُ المَوتِ دَائِرَةٌ تَحُومُ

وَلَوْ هَجَمَتْ جُموعُكَ حِينَ حَلُّوا عَلَيْهِمْ بَادَ جَمْعُهُمُ المُقِيمُ

وقوله :

وَكَيْفَ رَأَيتَ دَائِرَةَ التَّوَانِي أَتَتْكَ بِصَحْوِ نَحْسٍ لَا يُقِيمُ
أَتَاكَ وَقَدْ أَمِنْتَ وَنِمْتَ كَيْدٌ لِصِلٍّ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ

وقوله :

لَعَمْري لَقَدْ لَاقى هُبَيْرَةُ حَتْفَهُ بِأَفْضَل مَا تُلْقَى الحُتُوفُ السَّوَارِعُ
بِأَنْفٍ حَمِيٍّ لَمْ تخَالِطْهُ ذِلَّةٌ وَعِرْضٍ نَقيٍّ لَمْ تَشِنْهُ المَطَامِعُ
عَشِيَّةَ يَسْتكْفِيهِ مُطَّلِبُ الَّذي بِهِ ضَاقَ ذَرْعًا والمنايا كَوَارِعُ
فَمَا انْفَكَّ يحْمِيهِ وَيجْعَلُ نَفْسَهُ لَهُ جُنَّةً حَتَّى احْتَوَتْهُ المَصَارِعُ
فَلَاقَى المنايا فَوْقَ أَجْرَدَ سَابحٍ وَفِي الكَفِّ مَأْثُورٌ مِنَ الهِنْدِ قَاطِعُ
فَبَيْنَا يخُوضُ الهَوْلَ مِنْ غَمَرَاتِهِ وأَعْدَاؤُهُ مِنْ حَوْلِهِ قَدْ تجَاشعُوا
تَقَطَّرَ فِي أُهْوِيَّةٍ عَنْ جَوَادِهِ فَصَادَفَهُ حَيْنٌ مِنَ المَوْتِ وَاقِعُ
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا أَجَلَّ مُصَابُهُ عَلَى مَنْ يُعَادِي وَالَّذِينَ يجُامِعُ
مِنَ ابْنِ حُدَيْجٍ يَوْمَ أَعْلَنَ نَعْيَهُ وَقَامَ بِهِ فِي النَّاسِ رَاءٍ وَسَامِعُ
فَوَلَّوْا فُلُولًا قَدْ عَلَتْهُمْ كآبَةٌ وَكلُّهُمُ بَادِي التَّلَهُّفِ جَازِعُ

***

[٢٥] عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي الحسني (توفي نحو سنة ٢٤٠هـ) ، وهو أحد أجدادي رحمة الله عليهم.

أسند الدارقطني له حديثا ، ثم قال عقبه : «هذا إسناد علوي لا بأس به» ، مما يعني توثيقه .

ومن شعره ، وقد عاتبه أحدهم (وهو أبو غسان محمد بن يحيى بن علي الكاتب المدني) بعدم هجرته من الحجاز إلى العراق لينال أُعطيات الخلفاء ، فقال :

لحاني أبو غسان في ضعف همتي — وأنيَ لا أغشى الملوكَ ، فأتربُ
وأني بأدنى العيش والرزق قانعٌ — وأنيَ أسبابَ الغنى أتجنبُ
فلم أرَ هذا الرزق من حيلة الفتى — ولكنه كاللحم حين يُؤرَّبُ
حُظوظٌ وأقسامٌ تُقسَّمُ بينهم — فكلهم من قسمة الله منصب

ومن مختارات الزمخشري من شعره في (ربيع الأبرار) قوله :

يا حسرتا من مصيبةٍ عَظُمتْ — أبناءُ عوفٍ ومالكٍ هلكوا
خَلُّوا فجاجًا عليَّ فانخرقت — لم يستطع سَدَّهن من تُركوا

***

[٢٦] سَوَّار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة بن عَنَزَةَ التميمي العنزي أبو عبد الله البصري القاضي (ت٢٤٥هـ) : وثقه الإمام النسائي ، وقال الإمام أحمد : «ما بلغني عنه إلا خير» . وهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي .

قال أحمد بن كامل : «كان فقيها قاضيا أديبا شاعرا» .

وذكره المرزباني في (معجم الشعراء) ، فيما نقله عنه مُغُلْطاي في (إكمال تهذيب الكمال) .

وهو قائل الأبيات المشهورة التي قال عنها الصفدي في الوافي بالوفيات : «وقد رُزقت هذه الأبيات سعادة ، واشتُهرت بين الأدباء» :

سَلَبْتِ عِظَامِي لحْمَها ، فَتَرَكْتِهَا — عَواريَ ، ممّا نَالهَا تَتَكَسَّرُ
وأخليتِها من مُخِّها ، فتركتِها — قواريرَ فِي أجوافها الرّيح تَصْفِرُ

إِذَا سَمِعَتْ ذكرَ الْفِرَاق تَـرَاعَدَتْ مفاصِــلُها خَوفـا لمَـا تَتَنظَّـرُ
خذي بيَدي، ثُمَّ اكْشِفي الثَّوْبَ فانظُري بِلَـىٰ جَسَـدي ، لكننـي أتسـتّرُ
وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنهـا نفـسٌ تـذوب فَتَقْطُـرُ

ولهذه الأبيات خبر بإسناد حسن : أخرجه وكيع في أخبار القضاة (٣/ ٢٧٩) ، والمعافى بن زكريا في الجليس الصالح (١/ ٦٥-٦٤) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٠٩-٢١٠) ، وأبو محمد السراج في مصارع العشاق (٢/ ٦) ، كلهم من طريق الإمام اللغوي الورع الضابط أبي عمر صالح بن إسحاق الجرمي ، قَالَ: «دخلتُ حَماما فِي درب الثَّلج، فَإِذا فِيهِ سَوَّارُ بْن عَبْد اللهَّ القَاضِي فِي الْبَيْت الدَّاخِل ، قَد اسْتلْقى ، وَعَلِيهِ المئزر، فَجَلَست بِقُرْبِهِ . فساكتني سَاعَة ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ أَحْشَمْتَني يَا رَجُل، فإِمَّا أَن تخْرُجَ ، أَوْ أخرج . فَقلت: جِئْت أَسأَلك عَنْ مَسْأَلَة ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مَوضِع المَسَائِل ، فَقلت: إِنهَّا من مسَائِل الحْمام ، فَضَحِك ، وَقَالَ: هَاتِهَا، فَقلت: مَنِ الْفَتى الَّذِي يَقُولُ:

سَلَبْتِ عِظَامِي لَحْمَها ، فَتَرَكْتِهَا عَـواريَ ، ممّـا نَالهَـا تَتَـكَسَّرُ
وأخليتِهـا مـن مُـخِّها ، فتركتِهـا قـواريرَ فِي أجوافهـا الـرّيح تَصْفِـرُ
إِذَا سَمِعَتْ ذكرَ الْفِرَاق تَـرَاعَدَتْ مفاصِــلُها خَوفـا لمَـا تَتَنظَّـرُ
خذي بيَدي، ثُمَّ اكْشِفي الثَّوْبَ فانظُري بِلَـىٰ جَسَـدي ، لكننـي أتسـتّرُ

فَقَالَ القاضي : أَنَا وَالله قُلْتُها.

(قال أبو عمر الجرمي) فقلت له : فَإِنَّهُ يُغَنَّىٰ بهَا ويُجَوَّد ؟! فَقَالَ: لَوْ شهد عِنْدِي الَّذِي يُغنِّي بهَا لأجزتُ شَهَادَته!! ».

***

[٢٧] أحمد بن صاعد بن موسى الصُّوري (توفي بين ٢٤٩هـ -٢٥٠هـ) :

ذكره في الرواة ابنُ أبي حاتم في (الجرح والتعديل) ، وقال عنه : «أحمد بن صاعد الصوري : الزاهد صاحب حكمة وزهد ، روى عنه أحمد بن أبي الحواري، وسعد بن محمد البيروتي » .

وقد قال في الحب الإلٰهيِّ (وقد نُسبت لذي النون المصري ، وهي للصوري ، كما في كتاب "أخبار وحكايات" لمحمد بن الفيض الغساني) :

مجـالُ قلـوبِ العـارفين بروضـةٍ ... سـماويةٍ مـن دونهـا حُجُـبُ الـربِّ
معسـكرُها فيهـا ، ومَـجْنَى ثمارِهـا ... تَنَسَّمُ رَوْحَ الأُنسِ بالله من قُرْبِ
تَكَـنَّفها مـن عالَـمِ السّـرِّ حبُّـه ... فلولا مدى الآجالِ ماتت من الحبِّ
وأنْشَـقَها (سـبحانه) رَوْحَ قُربِـهِ ... وبرْدَ نسيمٍ جلّ عن منتهى الخطبِ
وأروى صداها صِرْفُ كاساتِ حُبه ... بأشهى من الماذيِّ بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
فَيَـا لَقُلُـوبٍ قُـرِّبَتْ فَتَقَـرَّبَتْ ... فَحَلَّتْ مِنَ المحبُوبِ فِي أَقْرَبِ القُرْبِ
رَضِيَهَا فَأَرْضَاهَا فَجَازَتْ مَدَى الرِّضَا ... وحلّت من المحجوب فِي المنزِلِ الرَّحْبِ
سَرَى سِرُّهَـا بَـيْنَ الحَبِيـبِ وَبَيْنَهَـا ... فَأَضْحَى مَصُونًا عَن سوى الرب وَالْقَلْبِ

وقال في الحب الإلٰهيِّ أيضًا :

أَلَا لَيْـتَ شِـعْرِي هَـلْ يَلِيـقُ بِقَائِـلٍ
يَقُـولُ إِذَا مَـا اللَّيْـلُ أَنْجُـمُهُ تَـسْرِي
أَيَـا مَـنْ تَـرَى جِسْـمِي وَلَـحْمِي وَأَعْظُمِـي
وَمَـنْ حُبُّـهُ مِنِّـي مِـلَا الْقَلْـبِ وَالصَّـدْرِ
وَمَـنْ لُطْفُـهُ مَـا لَسْـتُ أَبْلُـغُ كُنْهَـهُ
وَلَا حَـدُّهُ الْأَجْـزَاءُ مِـنْ عَـدَدِ الْقَطْـرِ
وَمَـنْ هُـوَ رَبَّـانِي وَغَـذَّى بِلُطْفِـهِ
وَجَلَّلَنِـي بِـاللُّطْفِ وَالـمَنِّ وَالسِّـتْرِ

وأَنْعَشَــنِي مِــنْ بَعْــدِ ضَــعْفٍ وَحَــيْرَةٍ

وَفَهَّمَنِــي مِــنْ بَعْــدِ أَنْ كُنْــتُ لَا أَدْرِي

وَأَنْطَقَنِــي مِــنْ بَعْــدِ عِــيٍّ وَلُكْنَــةٍ

وَزَحْــزَحَ بِالْأَعْــذَارِ عَــنْ حُجّتــي عُــذْرِي

وعنــديَ مِــنْ مَكْنُــونِ مَــا خَصَّــنِي بِــهِ

مصــونُ عَظِـيمِ السِّــتر ، يَــا لَــكَ مِــنْ سِــتْرِ

أَصُــــولُ بِــــهِ طَــــوْرًا وَأَفْخَــــرُ تَــــارَةً

وَأَشْرُفُ أَحْيَانًــا وَيَزْهُــو بِــهِ قَــدْرِي

وَأَخْتَــالُ فِي مَشْــيِي بِــهِ ، وَلِأَنَّــهُ

رَضِــيْني لَــهُ عَبْــدًا ، وَأَبْسُــمُ عَــنْ ثَغْــرِي

أَلَا أَيْــنَ مِــثْلِي وَالسَّــمَوَاتُ كُلُّهَــا

لَــدَيَّ مَــعَ الْأَرَضِــينَ وَالْــبَرِّ وَالْبَحْــرِ

أَلَا أَيْــنَ مِــثْلِي والملائــكُ جَمَّــةٌ

عَبِيــدٌ لِــرَبِّي خَاضِــعِينَ لِــذِي الْكِــبْرِ

أُقَلِّــبُ طــرفي فِي الْــبِلَادِ فَــلَا أَرَى

سِوَى مُلْـكِ مَـوْلَايَ لَـدَى السَّـهْلِ وَالْـوَعْرِ

أُرَاعِــي سَــوَادَ اللَّيْــلِ أُنْسًــا بِسَــيِّدِي

وشــوقا إليــه غَــيْرَ مُسْــتَكْرَهِ الصَّــبْرِ

وَلَكِــنْ سُرُورًا دَائِــمًا وَتَعَرُّضًــا

وَقَرْعًــا لِبَــابِ الــرَّبِّ ذِي الْعِــزِّ وَالْقَــدْرِ

رَضِــيتُ بِعِلْــمِ الله فِــيمَا أُسِرُّهُ

مِــنَ الحُــبِّ للجبــار فِي الْقلــب والصَّــدْر

***

[٢٨] سليمان بن معبد بن كَوْسَجان الـمَرْوَزِيّ أبو داود السِّنْجِي النَّحْوي (ت٢٥٧هـ) : حافظٌ رحّال . من شيوخ مسلم في صحيحه ، وأبي داود ، والنسائي.

قال الحازمي : «كان أديبا شاعرا ، وله تاريخ» .

وذكره أبو البركات الأنباري في (نزهة الألِبّاء في طبقات الأدباء) ، وياقوت في (معجم الأدباء) . وذكره القفطي والسيوطي في النحاة .

وقال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب : «ثقةٌ صاحبُ حديث ، رَحّالٌ أديب» .

ومن شعره :

يـا آمـرَ النـاسِ بـالمعروف مجتهـدًا ... وإن رأى عـاملا بـالمنكر انتهـرَهْ
ابـدأ بنفسـك قبـل النـاس كلهـمُ ... فأوصـها واتـل مـا في سـورة البقـره
أتــأمرون بــبرٍّ تــاركين لــه ... ناسين ، ذاك دأبُ الـخُيَّبِ الـخَسَره
وإن أمـرتَ بـبرٍّ ثـم كنـت عـلى ... خلافـه لم تكـن إلا مـن الفجـره
مـن كـان بـالعُرف أمّـارًا وتارِكَـه ... فـذاك يسـبق منـه سـيلُه مَطَـرَه

وهو الذي رثى إمامَ الجرح والتعديل أبا زكريا يحيى بن معين بقصيدة جميلة ، تفيض عاطفة ، يقول فيها :

أَمِـنْ حَـدَثانِ الـدهرِ أنـت مُـرَوَّعُ ... وعينُـك مـن فَـرْطِ الصبابة تـدمعُ
مَرَى دَمْعَك المكنونَ ما ضَمِنَ الحَشَا ... مـن الوجـد ، تبكـي تـارةً وتَـوَجَّعُ
لئن هَمَلَت عيناك من لوعةِ الأسى ... لمثـل الـذي أَذْرَى دموعَـك يُفْجَـع
وينفي الكرى حتى تبيتَ مسهَّدًا ... تُراعي نجوم الليل ، مالَكَ مَهجعُ
أفضْ عبراتٍ من شؤونِك وانْتَحِبْ ... لخطـبٍ جليـلٍ أَنَّ قلبَـك مُوجَـعُ
فقـد عَظُمـتْ في المسـلمين رزيـةً ... غداةَ نَعَى الناعون يحيى فأسمعوا
فقـالوا بأنـا قـد دفنـاه في الثـرى ... فكــاد فـؤادي عنــدها يتصــدع

فقلــتُ ولـم أملــك لعينــيَ عــبرةً ... ولا جَزِعًــا : إنــا إلى الله نرجــعُ
ألا في ســبيل الله عُظْــمُ رَزِيّتــي ... بيحيـى، إلى مـن نسـتريح ونفـزع؟
ومن ذا الذي يُؤتى فيُسأَلُ بعده؟ ... إذا لم يكـن للنـاس في العلـم مقنـع
لقـد كـان يحيـى في الحـديث بقيـةً ... من السلف الماضين حين تَقشَّعوا
فلـما مـضى مـات الحـديثُ بموتـه ... وأُدرج في أكفانــه العلــمُ أجمــع
وصرنـا حَيـارَىٰ بعـد يحيـى كأننـا ... رعيــةُ راعٍ ، بـــثّهم ، فتصــدعوا
أبــى الصــبرُ أني لا أعــاين مِثْلَــه ... يدَ الدهر ما نصَّ الحجيجُ وأوضعوا
ولـيس بمغـنٍ عنـك دمعٌ سـفحتَه ... ولكــن إليــه يســتريح المفجَّــعُ
لعمـرك مـا للنـاس في المـوت حيلـةٌ ... ولا لقضــاء الله في الخلــق مــدفع
فلـو أن مخلوقـا نجـا مـن حِـمامِه ... إذنْ لنجــا منــه النبــيُّ المشــفَّعُ
تَعــزَّ بــه عــن كــل مَيْــتٍ رُزِئْتَــه ... فَــرُزْءُ نبــي الله أشــجى وأوجــع
ولكـنما أبكـي عـلى العِلْـمِ إذ مـضى ... فـما بعـد يحيـى فيـه للنـاس مفـزع
سـقى الله قـبرًا بـالبقيع مجـاورًا ... نبـيَّ الــهُدَى غيثًـا يجـود ويَمـرَعُ
فقــد تــرك الــدنيا وفــرَّ بدينــه ... إلى الله ، حتـى مـات وهـو ممتَّـعُ
وخـــار لـــه ربي جِـــوارَ نبيِّـــه ... وذو العرش يُعطي من يشاء ويمنعُ
وإني لأرجــو أن يكــون محمــدٌ ... لــه شــافعًا يــوم القيامــة يشــفع

***

[٢٩] الحسن بن محمد بن الصَّبَّاح الزعفراني (ت٢٦٠هـ) : من شيوخ البخاري وأصحاب السنن ، وهو ثقة ، وهو من تلامذة الإمام الشافعي ومن رواة فقهه العراقي .

وله ديوان شعر في أربعة أجزاء .

قال ابن عبد البر : « يقال إنه لم يكن في وقته أفصح منه ولا أبصر باللغة ، ولذلك اختاروه لقراءة كتب الشافعي» .

وذكر ابن الأبار (ت٦٥٨هـ) له بيتين في الغزل ، ثم قال عنه : «هو أحد شيوخ البخاري ، وقد جمع إلى هذا الشعرِ الرقيقِ التقدُّمَ في الحديث . وديوانه المعروف به ، وهو أربعة أجزاً ، يرويه أبو علي عن القاضي أبي الحسن الخلعي المصري عن أبي محمد بن النحاس عن أبي سعيد من الأعرابي عنه» .

والبيتان هما قوله :

أذِلُّ لمـن أهـوى لأكسـب عـزةً   وكـم عـزةٍ قـد نالها المـرءُ بالـذُّلِّ
إذا كان من تَـهْوَى عزيزًا ولم تكن   ذليلا له ، فَاقْرِ السلام على الوصلِ

روى الخطيب البغدادي من حديث أحمد بن محمد الشطوي وعبيد الله بن محمد بن علي بن شهاب ، أنهما قالا : « سمعنا أبا علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني يُنشد ، وقد اجتمع إليه الناس ليحدثهم :

لا والـذي تسـجد الجبـاه لـه   مـالي بـما دون ثوبهـا خَـبَرُ
ولا بفيهـا ، ولا هممـتُ بـه   مـا كـان إلا الحـديثُ والنظـرُ

فقال له رجل : يا أبا علي ، إن هذا يُغنَّى به !! فقال : ثكلتك أمك ! وهل يغنى إلا بالشعر الجيد ؟!» .

ومن شعره :

أبـدًا بـين المحبيـ   ـن جـدالٌ وقتـالُ
فـإذا مـا عَرِيـا مِـنْ   ذاك فالحـبُّ مُـحالُ
لم يَطِبْ حُبٌّ إذا ما   لم يكـن فيـه جـدالُ
وامتنـاعٌ مـن حبيـبٍ   عنـده عَـزَّ الوصـالُ

***

[٣٠] شعيب بن شعيب بن إسحاق القرشي الدمشقي (ت٢٦٤هـ) ، من شيوخ النسائي الثقات .

قال الذهبي في ترجمته : « وله شعر جيد» .

ومن شعره قوله :

صُنِ العلمَ عمّن ليس يزكو بمثله ... وأَسْمِعْ بُغاةَ العلمِ ما أنت سامعُ

ولا تتزيّدْ فِي حديث سمعتَه ... بكذبٍ ؛ فإن الكذب للمرء واضعُ

ولم أرَ مثلَ الصدق أسنى ... إذا جمعتهم والرجالَ المجامعُ

إذا ما رأى الجهال ذا العلم مائلا ... إلى ذي الغنى ، مالوا إليه وسارعوا

***

[٣١] هلال بن العلاء بن هلال الرَّقّي (ت٢٨٠هـ) وقد قارب المائة : من شيوخ النسائي ، وهو صدوق .

ذكره ياقوت في معجم الأدباء .

قال الإمام الذهبي : «له شعرٌ رائق ، لائق بكل ذائق» .

وهو القائل :

لما عفوتُ ولم أحقد على أحدٍ ... أرحتُ نفسيَ من غمِّ العداواتِ

إني أُحَيِّي عَدُوّي عند رؤيته ... لأدفع الشرَّ عني بالتحياتِ

وأُظهر البِشْرَ للإنسانِ أبغضُه ... كأنه قد حشا قلبي محباتِ

والناس داءٌ، وداءُ الناس قُرْبُهُمُ ... وفي الجفاء لهم قَطْعُ الأُخوّاتِ

ولستُ أسلم من خلٍّ يخالصني ... فكيف أسلم من أهل المعاداةِ

ألقى العدوَّ بوجهٍ لا قُطُوبَ به ... يكاد يقطر من ماء البشاشاتِ

وأَحـزَمُ النـاس مـن يلقـى أعاديَـه ... في جسم حِقدٍ وثوبٍ من مودّات

وفي توجيه بيته الأخير هذا ، وما قد يؤخذ عليه فيه من كونه ذا وجهين ؛ فإنه قد أنصف الناسَ من نفسه ، عندما قال في أبيات أخرى :

اقبـلْ معـاذيرَ مـن يأتيـك معتـذرًا ... إن بَـرَّ عنـدك فيما قـال ، أو فَجَـرا

فقـد أطاعـك مـن أرضـاك ظـاهرُه ... وقـد أَجَلَّـك مـن يعصيك مسـتترِا

فليس مقصوده من قوله :

وأَحـزَمُ النـاس مـن يلقـى أعاديَـه ... في جسم حِقدٍ وثوبٍ من مودّات

أن تُظهر الحب والمودّة لكي تمكر وتخدع وتضرّ ، وإنما لكي تكفّ شرَّ ذوي الشر عنك ، كما في الحديث الصحيح : « إن شر الناس عند الله منزلةً يوم القيامة : من تركه الناس اتّقاءَ شرِّه» .

وهو القائل :

أَجِـدِ الثِّيـابَ إذا اكْتَسـيْتَ فإنهـا ... زَيْـنُ الرِّجـالِ ، بهـا تُـجَلُّ وتُكْـرَمُ

ودَعِ التَّواضـعَ في الثيـابِ تخشُّـعًا ... فـالله يعلَـمُ مـا تُـسِرُّ وتَكـتُمُ

فَـدَنيُّ ثوبِـك لا يزيـدُك زُلْفَـةً ... عنـد الإلـه وأنـت عبـدٌ مجْـرِمُ

وبهـاءُ ثوبِـك لا يـضرُّك بعـد أنْ ... تخشـى الإلـهَ ، وتَتّقـي مـا يَحْـرُمُ

والقائل :

سـبيلي لسـانٌ كـان يُعـرِبُ لفظَـه ... فيـا ليتـه مـن وقفـة العـرض يسـلمُ

وما ينفع الإعرابُ إن لم يكن تُقىً ... ومـا ضرَّ ذا تقـوى لسـانٌ مُعجَّـمُ

والقائل :

يَـا خَاضِـبَ الشَّـيْبِ بِالحِنَّـاءِ تَسْـتُرُهُ ... سَـلِ المليـكَ لـه سِـتْرًا مِـنَ النَّـارِ

لَنْ يَرْحَلَ الشَّيْبُ عَنْ دَارٍ أَقَامَ بِهَا ... حَتَّـى يُـرَحَّلَ عَنْهَـا صَـاحِبُ الـدَّارِ

والقائل (وهو من جميل ما قيل في الكسل والتسويف) :

كـأنّ التّـواني أنكـح العجـزَ بنتَـه وسـاق إليهـا حـين زوّجهـا مهـرا

فِراشًـا وطيئـا ثـم قـال لهـا اتّكِـي فــإنكما لا بــدّ أن تلــدا الفقــرا

وقال في الغزل :

أرَى كلَّ مَعشوقينِ غيرِي وَغيرهَا يَلَــذّانِ في الــدُّنيا وَيَغْتَبِطــانِ

وَأُمــسِي وتُــمسي في الـبِلادِ كأنّنـا أسِــيرانِ ، للأعْــداءِ مُرْتَــهَنانِ

أُصــلّي فـأبكي في صـلاتي لـذكرِها ليَ الويــلُ مِمّــا يكتُــبُ الملَكــانِ

ضـمِنتُ لهَـا أن لا أهـيمَ بغَيرِهـا وقَــدْ وثِقَــتْ منــي بغَــيرِ ضَــمانِ

ألا يـا عبـادَ الله قُومُـوا تَسَـمّعُوا خُصُــومَةَ مَعْشُــوقَينِ يَختَصِــمانِ

وفي كــلِّ عــامٍ يَسْـتَجِدّانِ مَـرّةً عِتابًــا وهَجــرًا، ثــمّ يَصْــطَلِحانَ

يَعيشـانِ في الـدّنيا غَـريبَيْنِ أيـنَمَا أقامَــا ، وفي الأعْــوامِ يَلْتَقِيــانِ

هو القائل :

وَمحْزُونَـةٍ لَـوْ مَـرَّ الْفِـرَاقُ تَرَكْتُهَـا وَفِي الصَّـدْرِ مِنْهَـا جَمْـرَةٌ تَتَسَـعَّرُ

تَطَيَّــرُ أَنْ تَبْــكِيَ عَــليَّ فَـدَمْعُهَا لمِــا نَالَــهُ فِي جَفْنِهَــا مُتَحَيِّــرُ

فَقُلْــتُ : قَضَــاءُ الله فَــرَّقَ بَيْنَنَــا فَقَالَتْ: قَضَى الله بمَا كُنْتُ أَحْذَرُ

***

[٣٢] أَبُو الحسن ابْنُ الْبَرَاءِ: محُمَّد بْن أَحْمَد بن البراء بن المبارك، أَبُو الحسن العبدي (ت٢٩١هـ) . وهو محدث ثقة ، وهو من تلامذة إمام النقد الحديثي الإمام علي بن المديني ، وهو من رواة كتابَيهِ عنه : (العلل) و(الأشربة) .

ذكره القفطي في (المحمدون من الشعراء وأشعارهم) ، وقال عنه : «أحد العلماء ومشايخ الحديث، وله أدب ، وفيه فضل» .

ومن شعره :

إِذَا كَلَّمَتْنِـــي بِالْـــجُفُونِ الْـــفَوَاتِرِ　　رَدَدْتُ عَلَيْهَـــا بِالـــدُّمُوعِ الْبَـــوَادِرِ
فَلَـمْ يَعْلَـمِ الْوَاشُـونَ مَـا كَـانَ بَيْنَنَـا　　وَقَـدْ قُضِـيَتْ حَاجَاتُنَـا بِالضَّـمَائِرِ
وَتَقْتُلَنِـي ظُلْـمًا بِأَسْـهُمِ لحْظِهَـا　　أَمَا حَكَمٌ يَقْضِي عَلَى طَرْفِ جَائِرِ
فَلَوْ كَانَ لِلْعُشَّاقِ قَاضٍ مِنَ الهوى　　لَـــقَضَى بَـــيْنَ الْفُـــؤَادِ وَنَـــاظِرِي

***

[٣٣] الحافظ إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار (ت٣٤١هـ) : وهو من مشاهير الـمُسْنِدِين في السنة ، وله أجزاء حديثية مشهورة .

وهو مشهور بصحبته للمبرّد وأخذه عنه النحو واللغة .

ذكره القفطي والسيوطي : في النحاة ، وذكره أبو البركات الأنباري وياقوت : في الأدباء .

ومن شعره :

إذا زرتكـم لُـقِّيتُ أهـلًا ومرحبـا　　وإن غبتُ حولا لا أرى لكم رُسْلا
وإن غبتُ لم أَعْدَمْ : إلا قد جفوتَنا　　وقد كنتُ زَوّارًا ، فما بالُنا نُـقْلى؟!
أفي الحـــق أن أرضى بـــذلك مـــنكمُ　　بل الضيم أن أرضى بها منكم فِعلا
ولكننـــي أُعطـــي صـــفاءَ مـــودتي　　لمـن لا يـرى يومـا علـيّ لـه فضـلا
وأستعمل الإنصافَ في الناس كلهم　　فلا أصل الجافي ولا أقطع الحبلا
وأخضـــع لله الـــذي هـــو خـــالقي　　ولن أُعطيَ المخلوقَ من نفسيَ الذُّلا

***

[٣٤] أحمد بن عبد الله بن الحسن، أبو هريرة بن أبي عصام العدوي المصري. (ت٣٤٦ هـ) : أحد ثقات المحدثين .

ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر في أدباء عصره .

والواقع أن ترجمته في كتب الأدب تختلف عن ترجمته في كتب أهل الحديث ! فهو عند أهل الحديث من أهل الديانة ، وهو عند أهل الأدب من أهل المجانة !! فإما أنه تاب من شيء كان في شبابه ، أو أن المحدثين به أخبر ؛ لأنهم أهل توثق كبير في هذا الباب .

وأورد من شعره في الغزل :

لَـئِن ذهبـتْ أَيَّـامُ لـذّتِنا التـي ... بِذِي الأسْل، مَا وجدي عَلَيْهَا بذاهبِ
ألا لَيْت أَيَّامًا مَضَت لم تكن مَضَت ... ففقدي لهَا يَا صَاح إِحْدَى المصائبِ
رعـى الله أَيَّـامَ الـسرُورِ فَإِنهَّـا ... تمـرُّ سريعـاتٍ كمـرِّ السـحائبِ

وأورد له :

كتمـتُ حبـك فِي قلبِـي فَـمَا وَسِـعَهْ ... هَـذَا وَلَـيْسَ لَـهُ شـغلٌ سـواهُ مَعَـهْ
يَا من إِذا مَا بَدَت للنَّاس صورتُه ... رَأَيْـتُ فِيهَـا فنـونَ الحْسـن مجتمعـه
وَالله مَا حِلْتُ عَمَّا قد عهِدتَ وَلَا ... أصغيتُ أُذْنا إِلَى العُذّال مستمعه
رفقًا بِمن لَو تَسلّى عَنْك يَا أملي ... بِكُـل شَيْء عـلى الـدُّنْيَا لمـا نَفعـه

له شعر في الشيب يقول فيه :

نـزل الشـيبُ بـرأسي وأَلـمْ ... ونضـا عنّـي قناعًـا كـالحِممْ
مـا أتـى الشـيبُ عـلى مقـداره ... بل أسى في السير منه وظلمْ
لاح منـه عَلَـمٌ في مَفْرِقـي ... ونكـا القلـبَ بـأنواع الألم
كلـما أفنيـتُ هـمًّا بعـده ... وتـذكّرتُ شـبابي عـاد هـم

وقال :

تَعَــــالَى اللهُ خَــــالِقُ كُــــلِّ شَيْءٍ   إِذَا مَــا قــالَ كُــنْ لِلشَّـــيْءِ كَــانَا
رَأَيْــتُ المــوتَ لاَ يُبْقِــي خَلِــيلًا   عَــلَى خِــلٍّ وَإِنْ عَاشَــا زَمَانَــا
فَكُــنْ مِنْــهُ عَــلَى حَــذَرٍ فَــإِنِّي   رَأَيْــتُ المــوتَ لاَ يُعْطِــي أَمَانَــا
أَنِسْــنَا غِــرَّةً لِلــذِّكْرِ مُنْــهُ   كَأَنَّــا إِنَّــمَا يُعْنَــى سِــوَانَا
وَكَــمْ للمــوتِ مِــنْ دَارٍ وَدَارٍ   أَبَــانَ عَمِيــدَهَا عَنْهَــا فَبَانَــا
وَكَــمْ ذِي نَخْــوَةٍ وَعَزِيــزِ قَــوْمٍ   أَذَلَّ المــوتُ نَخْوَتَــهُ فَهَانَــا
كَأَنَّــا قَــدْ نَظَرْنــاَ عَــنْ قَرِيــبٍ   إِلَى مَــا قَــدْ وُعِــدْنَاْه عَيَانَــا

وقال :

هَــبّ دَهْــرٌ وَانْقَــرَضْ   بِاصْــطِبَارٍ عَــلَى مَضَــضْ
وَزَمَــــانٍ مُسَــــاعِدٍ   لِبَنِــي الــخُبْثِ وَالحِــيَضْ
وَالهُــرَيْرِيُّ فِي اعْتِــزَا   لٍ عَــنِ التِّــبْرِ وَالْفِضَــضْ
شَــاعِرٌ جَيِّــدُ الْقَرِيــ   ــضِ وَرَأْسٌ إِذَا قَــرَضْ
غَــيْرَ أَنَّ الزَّمَــانَ يُقْــ   ــعِدُهُ كُلَّــمَا نَهَــضْ

وقال (وفيها ذكر توبته) :

لَعَمْرِيَ لَا الْأَيَّامُ عِنْدِي كَمَا مَضَتْ   وَلَا النَّــاسُ بِالنَّــاسِ الَّــذِينَ تجَمَّلُــوا
تَقَــدَّمَ بِــالْأَمْوَالِ مَــنْ كَــانَ آخِـرًا   وَأُخِّــرْتُ إِقْــلَالًا وَإِنِّيَ أَوَّلُ
أَلَا لَعَــنَ اللهُ الحَيَــاةَ وَطُولَــها   لَقَـدْ أَوْرَثَتْنِـي حَسْرَةً لَـيْس تَرْحَـلُ
إِذَا طَالَــتِ الْآمَــالُ حَتَّــى زَجَرْتُــهَا   وَقُلْتُ لهَا : قَدْ مَاتَ مَنْ كَانَ أَمَّلُوا
سَأَصْــبِرُ وَالْأَيَّــامُ فِيهَــا بَصَــائِرٌ   وَأَرْفَعُ مِنْ ثَوْبِي الَّذِي هُوَ مُسْبَلُ
وَأَسْكُتُ عَنْ عِلْـمٍ وَغَيْرِيَ نَـاطِقٌ   عَـلَى غَـيْرِ عِلْـمٍ أَيُّ رُكْنَيْـهِ أَطْـوَلُ

وقال :

قُـلْ لِلْمُفَكِّـرِ فِي الأَهْلِـينَ وَالْوَلَـدِ إِنَّ المنيّــةَ لا تُبْقِــي عَــلَى أَحَــدِ
فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاحْذَرْ هَوْلَ مَصْرَعِهَا وَاعْمُـرْ مُبَـارَزَةً فَـالموتُ بِالرَّصَـدِ
أَيْـنَ الملـوكُ وَأَبْنَـاءُ الملـوكِ وَمَـنْ لمْ يُنْجِـهِ كَثْـرَةُ الأَمْـوَالِ وَالْعَـدَدِ
انْظُرْ بِعَيْنَيْكَ ، فَكِّرْ : هَلْ يُرَى لَـهُمُ مَـاشٍ عَـلَى قَـدَمٍ ؟ أَوْ بَـاطِشٌ بِيَـدِ؟
أَضْحَتْ دِيَارُهُمُ مِنْ بَعْدِهِمْ عُطُلا أَفْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَفْنَى عَلَى لُبَـدِ

***

[٣٥] الإمام الحسن بن عبد الرحمن بن خَلّاد الرَّامَهُرْمُزِي (ت٣٦٠هـ) صاحب أول كتاب في علوم الحديث (المحدث الفاصل بي الراوي والواعي) :

من كبار الأدباء والشعراء ، ذكره ابن النديم في (الفهرست) ضمن الأدباء ، وذكر عددا من مصنفاته في الأدب والشعر ، وترجم له الثعالبي في (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر) ، وقال في وصفه : ((من أنياب الكلام ، وفرسان الأدب ، وأعيان الفضل ، وأفراد الدهر ..)) ، ثم أورد عددا من قصائده . وذكره أيضًا ياقوت الحموي : في الأدباء .

وهو القائل عن نفسه (فهو ابن خلاد) ، لما وجد سوق الحديث بدأ بالكساد :

قُـلْ لابـن خَـلّادٍ إِذا جِئْـتَه مُسْتَنِدًا في المسجِد الجَامِعِ
هَـذَا زمَـانٌ لَـيْسَ يحظـى بِـهِ (حَدثنَا الأَعْمَشُ عَن نَافِعِ)

وقال في الغزل :

يَـا مـن لصـبٍّ قَلِـقٍ بَـات يُرَاعِـي الفَلَكـا
جَـارَ بِـهِ مُسـلَّطٌ يجـور فِـيمَن مَلَـكَا
يهـزأ مـن عاشـقه يَضْـحك مِنْـهُ إِنْ بَكَـى
كشـادِنٍ رِيْـعَ مـن الـ ـصيّادِ أَبـدَى شَرَكـا
فَقلتُ : يَا أحسنَ مَن تُبصر عَيْني من لكا ؟!

فَقَــــالَ لي بغُنّـــــةٍ : إِلَيْـــك لَا أجرحُكـــا

تَبًّـــا لقــاضٍ يَبْتَغِـــي مــن المعــاصِي دَرَكــا

فَقلــــتُ وَالله الَّـــذِي صــيّرني عَبْــدًا لكــا

مَــــا إِن أَرَدْتُ رِيبَــــةً وَلم أُرِدْ سُــوءًا بِكــا

وَأَنــت فِي قَوْلــك ذَا آثــمٌ مِمَّــن أشركــا

ولساخرٍ أن يقول عن بيته الأخير : به قد كَفّره ، وارتاح !! فليته ما أحبّه ، ولا كفّره!!

ولِمُوَجِّهٍ متأوِّلٍ أن يقول : لعل الأبيات في غير مسلم أصلا ، من أهل الكتاب أو غيرهم ، ولذلك وصفه بذلك .

ولمصيبٍ أن يقول : الأبيات كلها خرجت على وجه الدُّعابة ، وكلما كان كلام العقلاء أبعد عن العقل ، كلما كانت قرينةُ صَرْفِه عن إرادةِ ظاهرِه أقوى .

***

[٣٦] حَـمْـدُ بن محمد بن إبراهيم الخطابي أبو سليمان البُستي (ت٣٨٨هـ) :

ومن سماه (أحمد) فقد صحّف اسمه : صاحب (أعلام الحديث) في شرح صحيح البخاري ، و(معالم السنن) في شرح سنن أبي داود ، و(غريب الحديث) الذي ذيّل فيه على (غريب الحديث) لابن قتيبة ، و(إصلاح غلط المحدثين) ، وغيرها من المصنفات .

ذكره الثعالبي في (يتيمة الدهر) في شعراء عصره ، وقال عنه : « كَانَ يُشَبّهُ في عصرنا بِأبي عبيد القَاسِم بن سَلّام فِي عصره : علمًا وأدبًا وزهدًا وورعًا وتدريسا وتأليفا ؛ إِلَّا أَنه يَقُول شعرًا حسنا ، وَكَانَ أَبُو عبيد مُفَحّمًا .

وَلأبي سُلَيْمَان كُتُبٌ من تأليفه ، وأشهرها وأسيرها كتابٌ فِي غَرِيب الحَدِيث ، وَهُوَ فِي غَايَة الـحُسْن والبلاغة» .

وذكره ياقوت في معجم الأدباء .

وذكره القفطي والسيوطي في اللغويين والنحاة .

ومن شعره المستحسن في وصف غربة الفكر والروح :

وَمَا غُربةُ الْإِنْسَان فِي شُقّة النَّوَى ... وَلكنهَــا وَالله فِي عــدم الشَّــكْلِ
وَإِنِّي غَرِيــبٌ بَـين بُسْـتَ وَأَهْلِهَــا ... وَإِن كَــانَ فِيهَــا أسرتي وَبهَــا أَهــلِي

وقال (وهو مما أنشده لنفسه في كتابه : العُـزْله):

شَرُّ السِّباع الضواري دونه وَزَرُ[1] ... وَالنَّــاس شَرُّهــمُ مَــا دونــه وَزَرُ
كـم مــعشرٍ سـلمُوا لم يُـؤذهم سَـبُعٌ ... وَمَــا نَــرى بَــشَرًا لم يُــؤْذِهِ بَــشرُ

ولَهُ أَيْضا :

مَـا دمـتَ حَيـا فـدارِ النَّـاسَ كلَّهـمُ ... فَــإِنَّمَا أَنْــت فِي دَار المـــداراةِ
من يَدْرِ دَارَى وَمن لــم يدر سَوف يُرَى ... عَـــمَّا قَلِيـــلٍ نـــديما للنـــداماتِ

وَله :

لعمــرك مَــا الحيــاةُ وَإِن حرصــنا ... عَلَيْهَـــا غـــير ريـــحٍ مســـتعاره
وَمَـــا للـــريح دائمـــةً هُبـــوبٌ ... وَلَكِـــن تَـــارَةً تجْـــرِي وتـــاره

وَله في وصف عُزلته :

وَقَائِــلٍ وَرَأى مِــن حَجْبــتي عجبًــا ... كـم ذَا التـواري وَأَنـت الـدَّهْرَ مَـحْجُوبُ
فَقلتُ حَلّتْ نُجُومُ الْعُمر مُنْــذُ بدا ... نـــجمُ المشيب ، ودَيْـنُ الله مَطْلُـوبُ

---

(١) أي : وقاية ومحترز .

فلُذْتُ من وجلٍ بالاستتار عَن الْـــ   أَبْصَــار إِن غَــرِيمَ المــوتِ مرهــوبُ

وَله

تَــغَنّمْ سُــكُون الحادثــات فَإِنهَّــا   وَإِن ســكنت عَــمَّا قَلِيــل تحــرّكْ

وبـــادرْ بأيـــام السَّـــلامَة إِنهَّـــا   رُهـــونٌ وَهل للرَّهْن عنْدك مَتْـرَكْ

وَله :

قـل للَّـذي ظـلّ يلحـاني ويعـذلني   لنائــل فَاتَــهُ وَالخُــيْر مــأمولُ

لَا تطلب السَّمْنَ إِلَّا عِنْد ذِي سِمَنٍ   نَــالَ الْولَايَــةَ ، فــالمعزول مهـزولُ

وَله :

قــد جَــاءَ طوفــان الْـبلَاء وَلَا أرى   فِي الأَرْض (ويحــي!) للنجــاة سَـــفِينه

فاصــعد إِلَى وزر السَّــمَاء فَــإِن يكــن   يعييــك فابــك لنَفســك المســكينه

وَله (وهو مما أنشده لنفسه في كتابه : العزلة) :

تسَــامح وَلَا تســتوف حَقَّــك كُلَّــه   وأبــقِ ، فَلــم يســتقصِ قــطُّ كــريمُ

«وَلَا تَغْــلُ فِي شَيْءٍ مــن الْأَمــر واقتصــد   كــلا طَرَفَــيْ قَصْـدِ الْأُمُــور ذميمُ»

وَله :

قــد أولــع النَّــاس بــالتلاقي   والمــرءُ صَــبٌّ إِلَى هَــوَاهُ

وَإِنَّـــمَا مِـــنْهُمُ صـــديقي   مـــن لَا يـــراني وَلَا أرَاهُ

وَله :

إِذا خــلوتُ صفا ذهني وعارضني   خــواطرُ كطــراز الْـبَرْق فِي الظُّلَــمِ

وَإِن تــوالى صــياح النــاعقين عــلى   أُذُني عَرَتْنــي مِنْــهُ حُكْلَــةُ[1] الْعَجــم

ورأى مرةً طائرا على شجرة، فوقف ساعة يستمع ، ثم أنشأ يقول:

---

(١) الـحُكْلة : العجز عن الإفصاح .

يا ليتني كنت ذاك الطائر الغَرِدا — من البرية منحازا ومنفردا

في غصن بانٍ دَهَتْهُ الرِّيحُ تَخْفِضُه — طورا ، وترفعه أفنانه صُعُدا

خِلْوَ الهموم سوى حَبٍّ تَلَمَّسه — في التُّرْبِ،أو نُفْيَةٍ[1] يروي بها كبدا

ما إن يؤرّقُه فكرٌ لرزقِ غدٍ — ولا عليه حساب في المعاد غدا

طوباك من طائرٍ طوباك ويحك طِبْ — من كان مثلك في الدنيا فقد سَعِدا

وله أبياتٌ إنسانيةٌ راقية يقول فيها :

ارْضَ للناس جميعًا — مثلَ ما ترضى لنفسكْ

إنما الناسُ جميعا — كلُّهم أبناءُ جِنْسِكْ

غيرُ عدلٍ أن تَوَخَّى — وحشةَ الناس بأُنْسك

فلهم نفسٌ كنفسك — ولهم حِسٌّ كحسِّك

***

[٣٧] أحمد بن أفلح بن حبيب الأموي القرطبي (توفي قبيل سنة ٤٠٠هـ) :

وهو محدّثٌ ثقة ، له رحلة في طلب الحديث من الأندلس للمشرق الإسلامي .

وأهل الشعر من أهل الأندلس كثيرون جدا ، وهم باب آخر لم أقصده بعد !

قال عنه ابن حزم : «قد رأيته، وكان محدثًا، أديبًا، شاعرًا، مقبولًا في الشهادة عند الحكام؛ وأنشدني من شعره:

يا من شقيتُ على بُعد الديار به — كما شقيتُ به إذ كان مقتربا

ما أستريح إلى حالٍ فأحمدها — بالبين قلبي، وقبل البين، قد ذهبا

إن كان لي أَرَبٌ في العيش بعدكمُ — فلا قضيتُ إذن من حُبِّكم أربا»

***

(١) النفية : بقية الشيء .

[٣٨] عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي الشهير بابن الفرضي (ت٤٠٣هـ) : الحافظ صاحب (تاريخ علماء الأندلس) و(الألقاب) و(المؤتلف والمختلف) وغيرها من المصنفات الحديثية .

وصنف في شعراء الأندلس كتابا بعنوان (أخبار شعراء الأندلس) ، وُصف بأنه كتابٌ حفيل .

ذكره ابن بسام في (الذخيرة) الذي خصه بذكر شعراء وأدباء الأندلس ، وقال عنه : « شاعر مقل، هو في العلماء أدخل منه في الشعراء، ولكنه حسن النظام، مقترن الكلام» .

قال الذهبي : «له شعر رائق» .

من شعره في الزهد قوله :

أسير الخطايا عند بابك واقفُ	على وجلٍ مما به أنت عارفُ
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها	ويرجوك فيها ، فهو راجٍ وخائفُ
ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي	ومالك في فصل القضاء مخالفُ
فيا سيّدي لا تُخْزِني في صحيفتي	إذا نُشِرَتْ يوم الحساب الصحائفُ
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما	يَصُدُّ ذوو وُدِّي ويجفو الموالفُ
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي	أُرَجِّي لإسرافي فإني لتالف

وله في الغزل :

إن الذي أصبحتَ طَوْعَ يمينِه	إن لم يكن قمرا فليس بدونه
ذُليّ له في الحب من سلطانه	وسَقَامُ جسمي من سقام جفونه

وقال يخاطب أهله في الأندلس ، وقد خرج في طلب العلم إلى المشرق ، فقال متشوّقًا إليهم :

مضـــتْ لي شـــهورٌ منـــذ غِبْـــتُمْ	ومـا خِلْتُنـي أبقـىٰ إذا غِبـتُمُ شـهرَا
ومـــاليْ حَيـــاةٌ بعـــدكم أســـتلذُّها	ولو كان هذا لم أكن في الهوى حُرّا
ولـم يُسْـلِني طـولُ التنـائي هـواكمُ	بـلى زادني شـوقًا وجـدَّدَ لي ذِكْـرى
يُمثِّلُـكم لي طـولُ شـوقي إلـيكمُ	ويُـــدنيكمُ حتـــى أنـــاجيكمُ سِرّا
سأسْـتَعْتِبُ الـدهرَ المفـرِّقَ بيننـا	وهل نافعي أن صرتُ استعتب الدهرا
أعلِّـلُ نـفسي بـالمنى في لقـائكم	واستسهل البَرَّ الذي جُبْتُ والبحرا
ويُؤنسـني طَـيُّ المراحـل دونكـم	أروح على أرضٍ وأغدو على أُخرى
وتـالله مـا فـارقتُكم عـن قِـليً لكـم	ولكنها الأقدارُ تجَري كما تُـجْرَى
رَعَتْـكُم مـن الـرحمنِ عـينٌ بصـيرةٌ	ولا كشفتْ أيدي الرَّدَى عنكمُ سِترا

***

[٣٩] علي بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نعيم النُّعيمي أبو الحسن نزيل بغداد (ت٤٢٣هـ) : محدث شهير .

ذكره الثعالبي في (يتيمة الدهر) في شعراء عصره .

قال عنه الخطيب البغدادي : «كتبت عنه ، وكان حافظا عارفا متكلما شاعرا» .

ومن شعره في (يتيمة) الثعالبي وغيرها :

إِذا أظمأتْـــكَ أَكُـــفُّ اللئـــامِ	كَفَـــتْكَ القناعـــةُ شِـــبْعًا ورِيّـــا
فَكُـــن رَجُـــلًا رِجْلُـــه في الثَّـــرى	وَهَامــــةُ هِـــمّتِه في الثُّـــرَيّا
أبِيًّـــا لنائـــلِ ذي ثـــروةٍ	تـــراه بـــما في يديـــه أبِيّـــا
فَـــإنّ إِرَاقَـــةَ مَـــاءِ الحيـــاةِ	دون إِرَاقَـــةِ مَـــاء الـمُحَـــيّا

***

[٤٠] محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد النيسابوري أبو سعد الكَنْجَرُوذِي (ت٤٥٣هـ) : محدِّثٌ مُسْنِدٌ وفقيه .

ذكره الثعالبي في شعراء عصره في اليتيمة ، وترجم له ياقوت في معجم الأدباء ، وذكره القفطي والسيوطي في اللغويين والنحاة .

وقال عبد الغافر الفارسي في ذيل تاريخ نيسابور المسمى بـ(السياق) : « كان بارع وقته لاستجماعه فنون العلم ، سمع الكثير ، وأدرك الأسانيد العالية في [الحديث] والأدب ، وأدرك ببغداد أئمة النحو والأدب ... (إلى أن قال:) وخُتم بموته أكثر هذه الروايات ... وله شعر حسن متين يليق بأمثاله» .

ومن شعره في الغزل :

إِذا انثنى ورنا سَلَّتْ محاجرُه ... قواضبًا وبدا ميّاسُ قضبانِ
رِدْفٌ كَحِقْفٍ ، وَقَدٌّ من تمايله ... خُوطٌ ، وخصرٌ حَكَاهُ خيطُ كتَّانِ

وَقَوله :

يكسر ظهرَ الصبِّ تكسيرُه ... للصدغ والجفن لَدَى الغَمْزه
كَأَنَّمَا التجعيد من شعره ... فِي ألفات صُورَةَ الهَمْزه

وَقَوله :

بَين مَخَطِّ الْعَارِض امْتَدَّ من ... خَالٍ وَشعرٍ فَاحمٍ خطٌّ
كَأَنَّهُ خَطُّ الْكتاب الَّذِي ... لَاحَ عَلَيْهِ الْعَجْمُ والنقطُ

والعلماء يستحسنون الخط إذا كان منقوط الحروف ، حيث كان كثير من الكتب غير منقوط الأحرف ، فكانوا إذا وجدوا كتابا بخط منقوط كان في أعينهم أجمل من الشابة الحسناء !

وَقَوله :

فِي وَجهــك الزَّاهِــر لي نزهــةٌ ... فَهُــوَ بِــمَا يجمــع بُسْــتَانُ
لي نــرجسٌ مِنْــهُ وَوردٌ ومِــن ... شَــاربه الْأَخْــضَر ريحَــانُ

وَقَوله فِي الخِلاف[1] الْأَحْمَر :

انْظُــر إِلَى أَحْمَــر الصَّفْصــاف ... بَـين الريــاض إِذا تَلقــاهُ ممطــورا
حُمْــرُ اليواقيــتِ والأوراقُ بــارزة ... زمـــردا ونـــداه الـــدّرّ منثـــورا

***

[٤١] محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل اللخمي الأنباري ، الشهير بأبي طاهر ابن أبي الصقر (ت٤٧٦هـ) :

محدث رحّال ، وقد حققتُ مشيخته ، وطُبعت سنة ١٤١٨هـ ، بمكتبة الرشد بالرياض .

قال عنه الذهبي : «له شعرٌ رائق» ، كذا قال ، ولكني أجده دون المتوسط ، وقد تبيّن عندي أن مقياس الإمام الذهبي في الشعر ليس هو المقياس الذي يُعتمد !

ومن شعره في الغزل :

حبيـــبٌ خُـــصَّ بـــالكرمِ ... إمـــامُ الحســـن في الأُمـــمِ
بوجـــه نـــورُ جـــوهرِه ... يُريـــكَ البـــدرَ في الظُّـــلَمِ
مهذبـــــــةٌ خلائقُـــــــه ... ســـما بالأصـــل والشِّـــيَمِ
حلفـــتُ عـــلى الـــوداد لـــه ... بـــرب البيـــت والحـــرم
لَأَنـــتَ أعـــزُّ مـــن بـــصري ... عَـــليَّ وكـــلِّ ذي رَحِـــمِ

---

(١) الخِلاف : هو شجر الصفصاف ، وهو شجر معروف بهذا الاسم إلى اليوم .

فقـــال: لـــك الوفـــاءُ بـــذا ولـــو لم تـــأت بالقَسَـــمِ

وله أيضا في الرثاء :

فـــؤادي كـــاد يحـــترقُ ودمعـــي ظـــل يســـتبقُ
وبـــان الصـــبر يـــا أُنسِـــي وحـــالف مقلتـــي الأرقُ
لفقـــد أخ رُزئـــتُ بـــه فقلبـــي هـــائمٌ قلـــقُ
تكاملـــت الخصـــال لـــه فـــتمَّ الخَـــلْقُ والخُلُـــقُ
وكـــلُّ مُصَـــاحِبٍ لأخٍ سَيَسْـــلاهُ إذا افترقـــوا

***

[٤٢] الحُميدي : محمد بن أبي نصر فُتُوح الأزدي الأندلسي (ت٤٨٨هـ) ، صاحب (الجمع بين الصحيحين) و(جذوة المقتبس) .

ذكره ياقوت في معجم الأدباء .

وقد جمع الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري والدكتور عبد الحليم عويس شيئًا من شعره في مقدمة تحقيقهما لكتابه (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) ، المطبوع في عالم الكتب بالرياض سنة١٤٠٢هـ .

وأورد له قوله :

كـــلام الله عـــزّ وجـــلّ قـــولي ومـــا صَـــحّتْ بـــه الآثـــارُ دِينـــي
ومـــا اتفـــق الجميـــعُ عليـــه بـــدءًا وعَـــودا فهـــو عـــن حـــقٍّ مُبـــينِ
فـــدع مـــا صـــدّ عـــن هـــذا وهـــذا تكـــن منهـــا عـــلى عـــين اليقـــين

وقال:

أَلِفْتُ النَّوى حتى أَنِسْتُ بوحشتي وصرتُ بها - لا بالصبابة - مُولَعا

فلم أُحــصِ كم رافقتُ فيها مرافقًا ولم أحص كم يَمّمْتُ في الأرض موضعا
ومن بعد جَوْبِ الأرض شرقًا ومغربًـا فـلا بـدّ لي مـن أن أُوافـيَ مـصرعا

وقال:

لِقــاءُ النـاسِ لـيس يُـفيدُ شـيئًا سـوى الهـذيان مـن قيـلٍ وقـالِ
فأقْلِـلْ مِـنْ لِقـاءِ النـاسِ إلا لأخْـذِ العلـمِ أو إصـلاح حـالِ

***

[٤٣] محمد بن محمد بن أحمد بن هُمَيْماه الرَّامُشي ، أبو نصر النحوي النيسابوري (ت٤٨٩هـ) : من ثقات المسنِدين .

ذكره ياقوت الحموي في الأدباء ، والسيوطي في النحاة .

وقال عنه ياقوت : «كان مبرزا في القراءات وعلوم الحديث، ذا حظ وافر من العربية واللغة، وله شعر صالح ، سمع الحديث من أصحاب الأصم وغيرهم ، ورحل وتخرج به جماعة ، وأملى بنيسابور ، وأخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره» .

ومن شعره في وصف حال المحب ساعة الفراق :

ولمـا بَـرَزْنا للرحيـل وقُـرّبت كـرامُ المطايـا والركـاب تسـيرُ
وضـعتُ عـلى صـدري يَـدَيَّ مُبَـادرًا فقـالوا : محـبٌّ للعنـاق يُشـيرُ
فقلـتُ : ومَـنْ لي بالعنـاق ؟! وإنـما تَـداركْتُ قلبـي حـين كـاد يطـيرُ

وقال يُبيِّنُ سحر المال في تذليل الصِّعاب :

وإذا لقيـتَ صـعوبةً في حاجـةٍ فاحمـل صـعوبتها عـلى الـدينارِ
وابعثـه فـيما تشـتهيه فإنـه حجـرٌ يُلَـيِّنُ سـائرَ الأحجـار

وقال أيضا :

إِن تُلْقِـــكَ الغربـــةُ في مــــعشرٍ　　قـد أَجمعُـوا فِيـك عـلى بُغضـهم
فــدارِهم مَــا دمـــت فِي دَارهـــم　　وأَرْضِــهم مَـا دمـتَ فِي أَرضـهم

وقال في الشيخوخة :

وكنت صحيحًا والشّبابُ مُـنادِمي　　فأنْهَـلَني صَـفْوَ الـشّراب وعلّنـي
وزدتُ عــلى خمـسٍ ثمانــين حجّــةً　　فجــاء مشـيبي بالضَّــنَى فــأعلّني

***

[٤٤] السَّرَّاج : جعفر بن أحمد بن الحسن البغدادي (ت٥٠٠هـ) ، وهو حافظ كبير ومُسْنِدٌ ثقة . وهو صاحب كتاب (مصارع العشاق) ، في ذكر قصص من قَتَلَهم العشقُ ، وهو كتاب مطبوع في مجلدين .

وقد ذكره ياقوت في معجم الأدباء ، والفيروزبادي في البُلغة في أئمة النحو ، والسيوطي في بغية الوعاة في اللغويين والنحاة .

وقال عنه ابن الجوزي : «شعره مطبوع »

وقد قال يلوم بعض طلبة الحديث :

إِذا كُنْـــتُم تكتبـــون الحَـــدِيثَ　　لَــيْلًا وَفِي صـــبحكم تســـمعونا
وأفنيــــتم فِيـــهِ أعمارَكـــــم　　فَــــأَيَّ زمَـــانٍ بِـــهِ تعملونـــا

وكتب يمدح أهل الحديث :

قـــــل للـــــذين بجهلهـــــم　　أَضْـــحَوْا يعيبـــون المحـــابرْ
والحـــــاملين لهـــــا مِـــــنَ　　الأيــــدي بمجتمــــع الأســــاورْ
لـــــولا المحـــــابرُ والمقـــــا　　لِـــمُ والصـــحائف والـــدفاتر
والحـــافظون شريعـــةَ الـــــ　　ـــمبعوثِ مـــن خـــير العشـــائر

والنــــــاقلون حديثَــــــهُ عـــن كـــابرٍ ثَبْــتٍ وكـــابر

لرأيــتَ مـــن شِـــيَعِ الضَّــلا لِ عســـاكرًا تتلـــو عســـاكرْ

كـــلٌّ يقـــول بجهلــــه واللهُ للمظلـــومِ نـــاصرْ

سَـــمَّيتُمُ أهـــلَ الحـــديث أولي النهـــى وأولي البصـــائر :

(حشـــويةً) فعلـــيكمُ لَعْـــنٌ يُزيـــركم المقـــابر

هُـــمْ حشـــوُ جنـــاتِ النعـــيمِ عـــلى الأسرّة والمنـــابر

رُفقـــاءُ أحمـــدَ كلُّهـــم عـــن حوضـــه رَيَّـــانَ صـــادر

وقال يحث رواة الحديث على تعلم اللغة :

مَثَــلُ الطَّالِــبِ الحــديثَ وَلَا يُــحْسِنُ نَحْــوًا وَلَا لَــهُ آلَاتُ

كَحِـمَارٍ قَـدْ عُلِّقَـتْ - لَـيْسَ فِيهَـا مِــنْ شَـعِيرٍ - بِرَأْسِــهِ مخِـلَاتُ

ولما صنف كتابه في العشق (مصارع العشاق) فيما يزيد على عشرين جزءا ، كتب على كل جزء أبياتًا من إنشائه .

وكتب على أول جزء منه :

هــذا كتــابُ (مصــارع العشــاق) صَرَعَــتْهمُ أيــدي نــوًى وفــراقِ

تصـنيفُ مـن لـدغ الفـراقُ فـؤادَه وتَـطَـــلَّبَ الرَّاقــي فعــزّ الراقــي

وقال :

قضـــت وطـــرًا مـــن أرضِ نجـــدٍ وأمّـــتِ
عقيــقَ الحمــى مُرخًــى لهــا في الأزمّــةِ

وخبّرهـــــا الــــرُّوّادُ أنّ بحـــــاجرٍ
حَيًــا[1] نــوّرَتْ منــه الريــاضُ ، فحنّــتِ

ولاح لهـــا بـــرقٌ مـــن الغـــور مُوهِنًـــا

(١) الحيا – بتخفيف الياء – : هو المطر .

كشـــعلة نـــارٍ للطـــوارق شُـــبّت

فمـــيّلْنَ بالأعنـــاق عنـــد وميضـــه

تَـــرَاقَصُ في أرســـانها واســـتمرّتِ

وغنّـى لهـا الحـادي فأذْكَرهـا الحمـى

وأيامَهـــا فيـــه وســـاعاتِ وَجْـــرة

وقــد شَرَكَتْنــي في الحنــين ركــائبي

وزِدْنَ علينـــا رَنَّـــةً بعـــد رنّـــةِ

أقــول لركــبٍ مجهشــين تَطَوَّحُــوا

وعــزَّ بهــم مــاءٌ : رِدُوا مــاءَ عــبرتي

ألا ليــت شــعري هــل تعــود رواجعًــا

ليـالي الصِّـبا مـن بعـد مـا قـد تولّـت

وقال :

حبــذا طيــفُ سُــليمى إذْ طَـوىٰ (حذرَ الواشي) السُّرَى من ذي طُوَىٰ

وأتـــى الحـــيَّ طَرْقًـــا وهـــمُ بـــين أجـــراعِ زَرودٍ فـــاللِّوى

بِـــتُّ أشـــكو مـــا أُلاقِيـــهِ إلى طيفهـا الطـارق مـن مَسِّ الجـوى

أشــكر الأحــلام لمــا جَــمَعَتْ بيننـا وَهْنًـا عـلى رُغـم النَّـوَى

أيهــا العــاذلُ دعنــي والهــوى لــيس مشــغولٌ وخــالٍ بالسَّــوا

وأُنشد له :

حبــذا نجــدٌ بــلادًا لم نَجِـدْ راحـةً للقلـب في أرضٍ سـواها

فــإذا مــا لاح منهــا بــارقٌ هاج أشواقي أو هبّت صَباها

لستُ أنسى إذ سُليمى جارةٌ تَبْـذُلُ الـوُدَّ وتُصْـفِينا هواهـا

ثــم لمـا شـطّتِ الـدارُ بهـا ورماها البَيْنُ من حيث رماها

أرسـلتْ طيـفَ كـرى لكنـه زارنا والعينُ قد زال كــراها

ومن شعره أيضا:

سـألنا الصَّـبا لمـا رأينـا غرامنـا ... يزيـد بسـكّان الحِـمَى والهـوى يـدنو
أفيك لحملِ الشوق يا ريحُ مـوضعٌ ... فقد ضَعُـفَتْ عن حملِ أشـواقنا البُدْنُ

وقال أيضًا :

بـان الخلـيط فـأدمعي ... وجـدًا علـيهم تسـتهلُّ
وحـدا بهـم حـادي الفـرا ... قِ عـن المنـازل ، فاستقلُّوا
قـل للـذين تَرَحَّلـوا ... عـن نـاظري والقلـبَ حَلُّـوا
ودمـي بـلا جُـرْمٍ أتيـتُ ... غـداةَ بَيْـنِهِمُ اسْـتَحلُّوا
مـا ضَرَّهـم لـو أَنْهلـوا ... مـن مـاء وصـلهمُ وعَلُّـوا

وقال أيضا :

بَـيْنَ الحَطِـيمِ وَزَمْـزَمٍ ... وَالـرُّكْنِ والحجـر المقبَّـل
لِلْعَاشِـقِينَ بَنَـىٰ الهَـوَى ... أَبَـدًا مَصَـارِعَ لَـيْسَ تُـجْهَلْ
كَمْ بِالمُحَصَّبِ مِنْ عَلِيـ ... ـلِ هَـوًى طَـرِيحٍ لا تَعَلّـل
وقَتيـلِ بَـينٍ بَـيْنَ خَيْـ ... ـفِ مِنًى وَجَمْعٍ لَيْسَ يُعْقَلْ[(١)]

***

[٤٥] محمد بن طاهر المقدِسي (ت٥٠٧هـ) ، الإمام الحافظ ، صاحب (شروط الأئمة الستة) و(رجال الصحيحين) و(أطراف الكتب الستة) وغيرها من مصنفات السنة .

قال عنه ابن عساكر : «له شعرٌ حسن» .

وقال الأُدْفَوي : «له نظم جيد» .

---

(١) من العقل وهو الدية التي يدفعها أولياء القاتل لورثة المقتول ، والمقصود أن قتيل الحب مهدور الدم .

وقد جمع شعره الشيخ عبد الرحمن بن حسن قايد في تحقيقه لكتابه (المنثور من الحكايات والسؤالات)، المطبوع في دار الصميعي، سنة ١٤٣٠هـ .

ومن شعره في الغزل :

يا من يُدِلُّ بقدِّه ... وبخدِّه والمقلتينِ

ويصول بالصُّدْغ المُعَقْـ ... ـرَبِ شِبْه لامٍ فوق عينِ

ارحم - فديتُك - مدنفًا ... وسط الفلاة صريعَ بَينِ

قتلتْهُ أسهمُك التي ... من تحت قوس الحاجبينِ

الله ما بين الفرا ... قِ وبين من أهوى وبيني

صدّت فلي في كل عا ... مٍ وقفةٌ بالمشعرينِ

أشكو تباريحَ الجوى ... وأفضُّ ختمَ الدمعتينِ

سلْ من حَوَتْ عرفاتُ أو ... ساعٍ سعى بالمروتينِ

أو نازلا شَطَّيْ مِنَى ... أو من رمى بالجمرتينِ

كلٌّ يُخَبِّرْ أنه ... إن دام صدُّكَ حان حَيْني

وله فيه:

أضحى العذولُ يلومني في حُبِّهم ... فأجبته والنار حشو فؤادي

يا عاذلي لو بتَّ محترقَ الحشا ... لعرفتَ كيف تَفَتُّتُ الأكبادِ

صدَّ الحبيبُ وغاب عن عيني الكرى ... فكأنما كانا على ميعاد

وله:

ساروا بها كالبدر في هودجٍ ... يميس محفوفا بأترابه

فاستعبرتْ تبكي فعاتبتُها ... خوفا من الواشي وأصحابه

فقلت: لا تبكي على هالكٍ ... بعدَكِ لن يبقى على ما به

للموت أبوابٌ وكل الورى ... لا بد أن يدخل من بابه

وأحسنُ الموتِ بأهل الهوى مَن مات من فُرقةِ أحبابه

وله أبيات خرجت على وجه الدعابة ومجاراة أصحاب الغفلات ، وحاشاه هو من ذلك :

دعِ التصوُّفَ والزهد الذي اشتغلتْ به جوارحُ أقوامٍ من الناسِ
وعُجْ على دَيْرِ دارَيّا فإنّ بها الرُّهبانَ ما بين قِسِّيسٍ وشَمّاسِ
واشرب معتَّقةً من كفِّ كافرةٍ تسقيك خمرين : من لحظٍ ومن كاسِ
ثم استمع رَنّةَ الاوتار من رشأٍ مهفهفٍ طرفُه أمْضَىٰ من الماس
غَنَّىٰ بشعرِ امرئٍ في الناس مشتهرٍ مدوَّنٍ عندهم في صدر قرطاس
«لولا نسيمٌ بذكراكم يُرَوّحُني لكنت محترقا من حرِّ أنفاسي»(١)

***

[٤٦] خميس الحَوْزِي الحافظ الواسطي (ت٥١٠هـ) :

وهو الذي سأله أبو طاهر السِّلَفي عن جماعةٍ من النَّقَلة ، فتكلّم فيهم جرحًا وتعديلا ، في سُؤالاتٍ حديثيّةٍ مطبوعة.

ذكره العماد الأصبهاني (في خريدته) ، وياقوت الحموي : في الأدباء ، وذكره القفطي: في النحاة.

وله أبيات في ذم الكلام وفي الثناء على أهل الحديث :

تركتُ مقالاتِ الكلامِ جميعَها لمبتدعٍ يدعو بهنّ إلى الرَّدَى
ولازمتُ أصحابَ الحديث لأنهم دعاةٌ إلى سُبْلِ المكارم والهدى
وهل ترك الإنسانُ في الدين غايةً إذا قال : قَلّدْتُ النبيَّ محمدا

---

(١) البيت المضمَّن لـ(ريسان العذري) .

وقال :

مــن كــان يرجــو أن يــرى ... مِــنْ ســاقطٍ أمــرًا سَنِــيّا

فلقـــد رجـــا أن يجتنــــي ... مــن عوســجٍ رُطَــبًا جَـنِــيّا

وقال في الغزل :

وحُرْمةِ ما حُمِّلْتُ من ثِقْلِ حُبِّكُم ... وأشرفُ محلوفٍ به حُرمةُ الحُبِّ

لأنتم (وإن ضنّ الزمان بقربكم) ... ألـذُّ إلى قلبـي مـن البـارد العـذبِ

فـلا تحسـبوا أن المحـبّ إذا نـأى ... وغاب عن العينين ، غاب عن القلبِ

***

[٤٧] أَحْمَد بْن قَاسم القرطبي أبو العباس : محدث معروف في الأندلس ، وهو من شيوخ الحافظ أبي الوليد ابن خيرة القرطبي (ت٥٥١هـ) .

قال عنه ابن الأبار : «المحدّث الأديب من أَهْلَ قرطبة ، كَانَ من أَهْلَ الْعلم بفنون الْكَلَام قديمه وَحَدِيثه ، وَألف كتابا مُفِيدا فِي النَّفس وأخلاقها ، وَكَانَ لَهُ حَظّ وافر من النّظم والنثر . ذكره أَبُو الْوَلِيد بْن خيرة فِي شُيُوخه ، وَقَالَ : أَدْرَكته ، وجالسته ، وحدثنا بكتابه فِي النَّفس غَيْرُ وَاحِدٍ من أَصْحَابنَا عَنْهُ» .

وترجم له ابن بسام في (الذخيرة) في شعراء الأندلس ، وقال عنه : «أبو العباس هذا في وقتنا بحضرة قرطبة، مقلة عين العصر، وصفحة وجه الدهر، تبريزًا في النظم والنثر. وقد أثبتُّ من كلامه قطعةً تنبئ عما طالعه من علوم ، ونظر فيه من أنواع التعاليم، على صغر سنه، ولدانة غصنه» .

ومن شعره في الشَّيْبِ ، ملمحا إلى عادة أهل الأندلس قديما (وعادة نساء أهل الحجاز الآن) من لبس أهل المتوفَّىٰ بيض الثياب للعزاء :

قالــت وقــد نظــرتْ فَــرَوَّعَها ... شَـيبٌ عــلى فَـوْدَيَّ مُنْتَــشِرُ :
ما شأن تلك البِيضِ ؟! قلت لها : ... مــات الشــبابُ فَبَيَّــضَ الشَّعْــرُ

وقال أيضًا :

قالت وقد نظرتْ شيبي فَرَوَّعها: ... إن المشـيب لسـود الشـعر أكفـانُ
فقلت : أنكرتِ كافورَ الزمان به ... من بعد مِسْكٍ، وطِيْبُ الدهر ألوانُ
قالت : فأين من الكافور نفحتُه؟! ... قلتُ: انقضتْ ، وتَبدَّى منه جُثْمانُ
قالت: فإن كان كافورًا فَلِمْ ... قُواكَ ؟! والطِّيْبُ للأعضاء مِعْوانُ
فقلـتُ : مـا بي مـن الأيـام أثقلنـي ... قالت : كذلك شيب المرء ثهلان
فقلت : يا ليتني للنشرء منصرفٌ ... كـيما تعـود إلى الإيـراق أغصـانُ
قالت : وهل عاد أقوامٌ كما نشأوا ... من قبل أن يرجعوا مثل الذي كانوا

وقال أيضًا :

لهــج النــاسُ بــالقبيح وهــاموا ... فالْــزَمِ البيــتَ واسْــدُدِ الأبوابــا
وإذا مــا خرجــتَ تطلــب رزقًــا ... فتلــيَّنْ لهــم وكُــنْ خَلّابــا
وإذا مــا جلســتَ يومًــا إلــيهم ... فـالزم الصـمت واضـمم الأثوابـا
فكثــيرٌ ممــن تجــالس تُلْفِــي ... مــن عيـوب الـورى لديـه عِيابـا
وإذا مــا ســألتهم عــن جميــلٍ ... لم تجــد فــيهم لديــه جوابــا
لقــي النــاس قبلَنــا غُــرَّةَ الدهــ ... ــرِ ، ولم نلـق منـه إلا الـذُّنابىٰ
فــانقبضْ والــزمِ التَّصَــاوُنَ حتــى ... يُغْلِـقَ المـوتُ مـن حياتـك بابـا

***

[٤٨] أبو القاسم ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت٥٧١هـ) ، صاحب (تاريخ دمشق) ، إمام المحدثين بالشام في زمنه .

ذكره ياقوت في معجم الأدباء .

وقال الإمام الذهبي : «ولابن عساكر شعرٌ حسنٌ ، يُمليه عَقيب كثيرٍ من مجالسه» .

ومن شعره :

أيـا نفـس ويحـك جـاء المشـيبُ ... فـماذا التصـابي ومـاذا الغـزلْ
تـولّى شـبابي كـأن لم يكـن ... وجـاء مشـيبي كـأن لم يـزل
فيـا ليـت شـعري ممـن أكـون ... ومـا قـدّر الله لي في الأزل

وقال :

وصاحبٍ خـانَ ما استودعتُه وأتى ... مـا لا يليـق بأربـاب الـدياناتِ
وأظهـر الـسرّ مختـارًا بـلا سببٍ ... وذاك والله مـن أوفى الجنايـاتِ
أمـا أتـاه عـن المختـار في خـبرٍ ... أن المجـالس تُغشـى بالأمانـات

وقال في الغزل :

يا قوم دوموا على عهد الهوى وثقوا ... منّي على العهد لم أغدر ولم أخُنِ
ولا تـدبرت عـيشي بعـد بُعـدكمُ ... إلا تمثّلـتُ بيتـا قيـل مـن زمـنِ :
«فـإن أعـش فلعـلّ الله يجمعنـا ... وإن أَمُـتْ فقتيـلُ الهـمِّ والحـزَنِ»[1]

***

[٤٩] أبو طاهر السِّلَفي : الحافظ الـمُعَمَّر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الأصبهاني (٤٧٥هـ - ٥٧٦) :

أحد أشهر حفاظ القرن السادس ، وكان هو والسمعاني وابن عساكر رؤوس أهل الحديث في هذا القرن .

(١) البيت للعباس بن الأحنف ، وهو من قصيدة له كان يُغنّى بها .

له أشعار جمعها الدكتور حسن عبد الحميد صالح (ت١٣٩٦هـ) ، في كتابه (الحافظ أبو طاهر السِّلفي) ، المطبوع في المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٧هـ .

ومما قاله في علم الحديث :

إذا ذُكـرتْ بحـارُ العلـم يومًـا ... فقـول المصـطفى (لا غـيرُ) بحـري
هـو البحـر المحـيط ومـا عـداه ... فأنهـارٌ صـغارٌ منـه تجـري

وقال :

أنـا إن بـان شـبابي ومـضى ... فلـربي الحمـدُ ذهنـيَ حـاضرُ
ولئن خَفّتْ وجفّت أعظمي ... كِبَرًا ، غُصنُ علوميَ ناضرُ

ومن قوله في الغزل :

قـد قلـتُ إنْ رفـع الصـبا ... حُ ذيـولَ ليـلِ الوصـل عنّـا
يـا ليـت هـذا الـدهرُ دا ... مَ الـدهرَ للصـبّ المُعَـنَّى
فالليـل أسـترُ للمتيّـ ... ـم والظـلامُ عليـه أَحْنـى

وقال :

لم تـذق عينـيَ مـذ أبـصرتُه ... من شقائي طولَ ليلي وَسَنا
ولهـا في ذاك عـذرٌ واضـحٌ ... فَهْـوَ كالبـدر سـناءً وسـنا

دليل الموضوعات